

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⵎⵓⵎⵓⵔ ⵎⵎⵎⵔ ⵉⵏ ⵓⵣⵣⵓ ⵓⵏ ⵓⵏⵓⵣⵓ ⵓⵏ ⵓⵏⵓⵣⵓ

ⵓⵏⵓⵣⵓ ⵓⵏⵓⵣⵓ ⵓⵏⵓⵣⵓ ⵓⵏⵓⵣⵓ ⵓⵏⵓⵣⵓ ⵓⵏⵓⵣⵓ

ⵓⵏⵓⵣⵓ ⵓⵏⵓⵣⵓ ⵓⵏⵓⵣⵓ ⵓⵏⵓⵣⵓ ⵓⵏⵓⵣⵓ ⵓⵏⵓⵣⵓ

جامعة مولود معمري - تيزي وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

رقم الترتيب.....

الرقم التسلسلي.....

الميدان: لغة وأدب عربي.

الفرع: دراسات أدبية

التخصص: أدب جزائري.

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU  
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES  
Département de Langue et littérature Arabes



مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل م د)

العنوان:

جماليات المكان في رواية "غرنوة متاهة زقاق الظلمة"

لعبد الله كروم

إشراف الأستاذة:

أ.د. آمنة بلعلى

إعداد الطالبة:

. أمال نايت عبد السلام.

أعضاء لجنة المناقشة:

د. نبيل محمد صغير، أستاذ محاضرة (أ)، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ..... رئيسا.

أ.د. آمنة بلعلى، أستاذ التعليم العالي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ..... مشرفة ومقررة.

د. رابح أومودان، أستاذ محاضرة (ب)، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ..... مناقشا.

السنة الجامعية : 2023 / 2024

## الشكر

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله الكريم، والحمد لله حمدا جزيلا الذي وفقنا في مشوار دراستنا.

إنه لشرف كبير أن أتقدم بخالص الشكر إلى أستاذتي المشرفة "آمنة بلعلی" التي كان لها الفضل في إعداد هذا العمل بملاحظاتها وتعليماتها القيمة.

كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساهم في تكويني وتعليمي من الطور الابتدائي حتى الجامعي، أستاذتي الكرام.

وأتمنى أن يكون هذا البحث شعلة مضيئة تنير درب كل طالب علم.

## إهداء

ما أجمل أن وجود المرء لأغلى ما لديه والأجمل أن يهدي الغالي للأغلى.

لأبوي نور عيوني

بكل فخر وجد بين ثنايا قلبي

أهدي تخرجي وثمره جهدي

إلى سندي في هذه الحياة

إلى نور عيني وحظي الجيد وفخري

إلى بهجة أيامي وظلي وآمالي كلها

أمي وأبي

إلى كل من ساندني في إنجازي هذه المذكرة من قريب أو بعيد

إلى من ضاقت السطور بذكرهم فوسعهم قلبي "كل صديقاتي وأصدقائي"

# مقدمة

الرواية جنس أدبي حضي بمكانة بارزة عن غيرها من الأجناس السردية، حيث استطاعت أن تظفر بمكانة لافتة ومرموقة، نظرا لكونها تعالج الواقع، إذ تعد بمثابة مرآة عاكسة للواقع بكل تفاصيله. وتقوم على مجموعة من العناصر الفنية منها الزمان والمكان والشخصيات.

والمكان في الرواية يعتبر من أبرز العناصر، فهو يجسد أرضية الفعل الروائي، إذ بدوره يعمل على ربط أجزاء الرواية كما يعمل على تماسكها، فلا نجد رواية تخلو من عنصر المكان فدائما ما يخصص الكتاب مكانا أو عدة أمكنة تتحرك من خلالها الشخصيات، وتقع فيها الأحداث، وهذا ما يكسبه طابعا جماليا داخل النص السردى الروائي، ولهذا السبب تم اختياره موضوعا لبحثنا ويعود أيضا إلى ما يلي:

- طبيعة الرواية المختارة التي تزخر بالأمكنة وتتعلق بالشخصيات وبالأحداث التي تدور فيها.

- حداثة الرواية وكونها غير مدروسة وعلى أنها جزائرية فتحتمت لدراسة الأماكن المختارة من طرف الروائي.

ومن هذا المنطلق تبلورت الإشكالية على النحو الآتي:

\_ ما هي أسباب انتقال الشخصية من ضيق المكان إلى سعتها؟

- كيف ساهم المحتل في انفصال الشخصية عن قريتها؟

- كيف كانت علاقة الشخصية بالمكان قبل التغيير؟

فكان موضوع الدراسة موسوما ب: "جماليات المكان في رواية "غرنة متاهة في زقاق الظلمة" لعبد الله كروم". واعتمدنا في بحثنا على المنهج السيميائي البنيوي السردى إضافة إلى آلية التأويل فرضت نفسها من خلال طبيعة الدراسة.

وقد اقتضى مخطط الدراسة إلى أن يتشكل هذا البحث من مقدمة وفصلين وخاتمة، الفصل الأول يحتوي على مبحثين، أما الثاني فيتكون من ثلاثة مباحث، ولكل مبحث عناصر فرعية.

الفصل الأول معنون **بالمكان فضاء لجريان الأحداث**، أتحدث فيه عن المكان لكونه مركزا للأحداث. كما تطرقنا إلى الحديث عن أنواع الأحداث التي عاشتها مختلف الشخصيات والتي تدور في أماكن متعددة ومختلفة، ويحتوي على مبحثين، فالأول كان بعنوان **"تحولات المكان"** ويتكون من ثلاثة عناصر هي:

-مجتمع الرواية ومنطلق الحدث؛

-المكان باعتباره فضاء للعنف؛

-المكان باعتباره ملاذا.

والمبحث الثاني بعنوان **"العلاقة العاطفية بالمكان"**، الذي ينقسم إلى عدة عناصر هي:  
المكان باعتباره حنينًا وذكريات.

-المكان وعلاقته بالمغامرة العاطفية.

-المكان باعتباره فضاء للعادات والتقاليد.

أما بالنسبة للفصل الثاني فقد عنونته ب **"اشتغال الشخصيات في المكان الروائي"**، وتتدرج تحته ثلاثة مباحث، وتطرقنا في المبحث الأول إلى ذكر الشخصيات وبعض أماكن الالتقاء. أما المبحث الثاني المسمى ب **"دور المكان في مواصفات الشخصيات"** فتطرقنا فيه إلى ذكر بعض الشخصيات منها الرئيسية والثانوية التي لعبت أدوارا لبناء الرواية. أما بالنسبة للمبحث الثالث المعنون ب **"علاقة المكان بزمن السرد"** فيتكون من عنصرين:

-المكان ودوره في إبطاء السرد؛

-المكان في مذكرات الآخر.

وأنهينا البحث بخاتمة بمثابة حوصلة تضم جميع النتائج التي توصلنا إليها خلال بحثنا في جماليات المكان في رواية **"غرنة متاهة زقاق الظلمة"** لعبد الله كروم.

وقد اعتمدت في دراستي على مصادر ومراجع منها:

-رواية **"غرنة متاهة في زقاق الظلمة"** لعبد الله كروم.

- كتاب "جمالية المكان في ثلاثية حنا مينا" لمهدي عبيدي.
- كتاب بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمان، الشخصية) لحسن بحرأوي.
- كما لا يخلو أي عمل من الصعوبات، فنذكر منها:
- صعوبة الإلمام بكل ما يخص المكان وذلك لتشعب الموضوع.
- عدم وجود مراجع تطبيقية تناولت رواية "غرنة متاهة زقاق الظلمة" لكونها حديثة الصدور.

وفي مسك الختام أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذتي الفاضلة "آمنة بلعلی" التي كان لها الدور الفعال لإتمام هذا البحث، وإلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد في إنجاز هذه المذكرة ولو بكلمة طيبة، وإلى لجنة المناقشة الذين تجشّموا مشقّة قراءة المذكرة، ولما يقدمونه من ملاحظات مهمة تثري العمل.

# الفصل الأول:

## المكان فضاء لجريان الأحداث

### تمهيد

المبحث الأول: تحولات المكان

1-مجتمع الرواية ومنطلق الحدث

2-المكان باعتباره فضاء للعنف

3-المكان باعتباره ملاذا

المبحث الثاني: العلاقة العاطفية بالمكان

1-المكان باعتباره حنيناً وذكريات

2-المكان وعلاقته بالمغامرة العاطفية

3-المكان باعتباره فضاء للعادات والتقاليد

## تمهيد:

يعد المكان عنصرا مهما من عناصر البناء الفني أو بالأحرى هو فضاء يحتوي كل العناصر الروائية، ويشكل تحولاتها الدرامية ومشاهدها الوصفية، فبغيب المكان يغيب الحدث كذلك حيث يعتبر "الأرضية التي تدور فيها الأحداث"<sup>1</sup> ونظرا لهذه الأهمية التي تجعله عمود العمل السردي وركيزته، فإنه "ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة بل أنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله"<sup>2</sup>

وبما أن المكان يرتبط ببقية المكونات الأخرى مثل الزمن الذي هو من العناصر الأساسية التي تقوم عليها الأجناس النثرية عموما والرواية خصوصا، فإنه لا يمكن تصور رواية أحداثها خارج قالب الزمن بحيث يعتبر عمود السرد الأدبي "وهو يمثل العنصر الفعال الذي يكمل بقية المكونات الحكائية ويمنحها طابع المصادقية"<sup>3</sup> فبدون الزمن تصبح المكونات الحكائية غير مكتملة وذلك نظرا لأهميته، حيث يضمن لها الحركة والامتداد في المكان ومن هنا تكمن العلاقة الوطيدة بين الزمان والمكان بعيدا عن التصورات الفلسفية التي أثيرت حولهما.

كما أن الحدث من العناصر المهمة والفعالة داخل النص، إذ هو مجموعة من الأفعال التي تبنى بها القصة ولذلك فإن الأحداث لا يمكن أن تدور معالمها في عالم خال من الزمان والمكان، فالحدث "هو الفعل أو الحادثة التي تشكلها حركة الشخصيات لتقدم في

1- صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في الرواية، عند الرحمان، منيف المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، 2000، ص13.

2- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد العربي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1991 ص33.

3- مرشد احمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، دار فارس للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، لبنان، 2005، ص 233.

النهاية تجربة إنسانية ذات دلالة معينة.<sup>1</sup> بمعنى أنه الفعل الذي تقوم بها الشخصيات داخل الرواية، إذ يعتمد عليه في تحريك الشخصيات، وقد عرفه الدكتور لطيف زيتون على أنه "كل ما يؤدي إلى تغيير أمر أو خلق حركة أو إنتاج شيء".<sup>2</sup> فكل حركة أو فعل يسهم في تغيير مجرى الحدث الأول. وهو أيضا عبارة عن "سلسلة من الوقائع المتصلة التي تنسم بالوحدة والدلالة وتتلاحق من خلال بداية ووسط ونهاية، وهو نظام نسقي من الأفعال. "ما يعني أن كل تحول ولو كان صغيرا فهو بمثابة حدث في الرواية. ومن هذه العلاقات المتشابكة بين المكان والعناصر الأخرى، سنرصد في هذا الفصل تحولات المكان في علاقته بتطور الأحداث والشخصيات في الرواية وما يمثله المكان بالنسبة إليها.

<sup>1</sup>-محمد أحمد القضاة، التشكيل الروائي عند نجيب محفوظ، دراسة في تجليات الموروث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000، ص 79

<sup>2</sup>-لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2002، ص80

## المبحث الأول: تحولات المكان

## 1. مجتمع الرواية ومنطلق الحدث

تدور أحداث رواية غرنوة<sup>1</sup> حول شاب يدعى "الحساني"، وهو مجند مرتين لدى الفرنسيين الأولى في فيتنام والثانية في منطقة "رقان"، وهو الذي يتولى عملية السرد في الرواية، وتأتي أحداث الرواية بطريقة سردية حديثة، يقوم فيها السارد في الأول بعرض حدث قصته من لحظة التأزم أو العقدة، فيتمثل داخل رواية "غرنوة متاهة زقاق الظلمة" من لحظة مدهامة الدورية العسكرية لبيت "السباعي"، وذلك من أجل أخذهم إلى التجنيد للمرة الثانية، يقول السارد: "بعد العصر بينما نحن الثلاثة أنا و"بازا" والسباعي في منزل هذا الأخير إذ سمعنا دقا عنيفا على الباب سعدت للسطح إذا بدورية للبوليس أمامه"<sup>2</sup> بعد رؤية الحساني للبوليس قرر الهروب خوفا من إعادة التجنيد مرة ثانية لكن كل محاولاته باتت بالفشل حيث تم القبض عليه ويظهر ذلك في قوله: ثم منحنى استدعاءين أحدهما لي والآخر لحماري وأمر سائق الشاحنة بترحيلي إلى قاعدة رقان"<sup>3</sup>. من هنا يبدأ "عبد الله كروم" أهم حدث في الرواية والتي هي العقدة وفي نفس الوقت يقوم بالعودة إلى الماضي، فيقول: "كل ما بقي في الذاكرة أن ذلك كان في أواسط ديسمبر وصلنا إلى قاعدة "التارقية بازرافيل" نزلنا من الشاحنة أنا وحماري "تزيقا"، أخذوه هو إلى حاضرة مخصصة للحيوانات بينما جرجرت للتحقيق في مكتب متهاالك المقاعد غمته رائحة السجائر..<sup>4</sup> وقد عرض "عبد الله كروم" في عمله الروائي الألم وحجم الدمار والخراب الذي تركه المحتل الفرنسي على أرض الجزائر في نص من ثلاثة فصول، وكل منها تحمل أحداثا معينة لكن تتشابك فيما بينها.

<sup>1</sup> - عبد الله كروم، غرنوة متاهة في زقاق الظلمة، دار خيال للنشر، برج بوعريريج، الجزائر، سبتمبر 2023

<sup>2</sup> - الرواية، ص 42.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 43.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 43.

في الفصل الأول الذي عنون "الانشطار"، لخص لنا السارد حياة "الحساني" مع أصدقائه أثناء أخذهم للتجنيد للمرة الأولى"، والآثار التي خلفتها الحروب في فيتنام في نفسية كل واحد منهم"، أما في المرة الثانية عند ترحيله إلى "رقان" وصموده مع كل القبائل والتفجيرات التي كان يتعايش معها والتي أصبحت بالنسبة له كابوسا يستحيل نسيانه وكل الصعوبات التي واجهها مع السباعي حيث كاد أن يصبحا فأرين تجارب وقام أيضا بوصف الفطر السام الذي قبض على روح أمه ويظهر ذلك في قوله: "نعم التقى الرمل والفطر السام وتحالفا على واحتي وأرضي ومائي وأمي...."<sup>1</sup> وهكذا فقد الحساني أعز ما يملك بسبب المستعمر.

أما عن الفصل الثاني، فيأتي بعنوان "التخصيب" وفيه يتم الحديث عن العادات والتقاليد التي يمارسها أهل الصحراء، ويبرز ذلك صمود الشعب بالرغم من الصعوبات التي واجهوها إلا أنهم حاولوا الحفاظ على ثقافتهم وهويتهم وتاريخهم ونجده أيضا يتحدث عن بحثه عن شريكة الحياة ولكن نجده كلما تقدم لخطبة فتاة تموت أو تختفي حتى توصل به الأمر إلى توديع نادي المتزوجين وذلك لأن اسمه أصبح نحسا وشؤما على كل فتاة يتقدم إليها.

يتعرف "الحساني" على شخصيات جديدة بعدما قرر الخوض في حرب السفر والمعرفة عن حقيقة الإنسان وهذا ما يظهر في ملخص الفصل الثالث المعنون "الانصهار" حيث بدأ مغامراته فور خروجه من عند "الشيخ الصادقي" والتقاءه ب "محمد لمين" الذي عرض عليه مرافقته إلى الصحراء ومنه تبدأ لقاءاته مع العديد من الشخصيات الجديدة ومن أبرزها نذكر سيرافيا التي تعرف عليها في وهران والتي أصبحت زوجته وأم ابنه جابر والذي بسببه اكتشفت حقيقة ما خلفه الاستعمار الفرنسي في أجساد البشرية من تشوه حقيقي، ومع مرور الوقت تتأزم العلاقة مما يؤدي إلى الطلاق والانفصال. وتنتهي الرواية بمغادرة الحساني إلى باريس والتقاءه بأصدقاء المحن في الغربة.

<sup>1</sup> - الرواية، ص 90.

نلاحظ من خلال هذا الملخص أن الرواية تبدأ بانتزاع المكان وجعله مكانا للموت وتنتهي بالاغتراب في فرنسا، وبين المكانين يتحول مسار الرواية وحياة شخصية الحساني، ومن خلال حياته يبدو أن المكان اكتسب ملامح الشخصيات.

## 2. المكان باعتباره فضاء للغف:

لقد واجه الجزائريون بشاعة نادرة بسبب المجازر والتقتيل الجماعي، والتعذيب والقمع الوحشي الذي مورس ضدهم من طرف الاستعمار الفرنسي، وذلك خلال فترة الثورة التحريرية المباركة والتي ضحى من أجلها مليون ونصف مليون شهيد. وتعتبر فرنسا مسؤولة عن جميع الجرائم التي اقترفت على الأراضي الجزائرية، وفي حق الجزائريين، ولعل أشعها وأفظعها التجارب النووية في الصحراء والتي خلفت كارثة بيئية انعكست آثارها على الطبيعة والإنسان ويظهر ذلك في قول السارد: "لا مستقبل لنا على هذا الكون، سيكون الإنسان غير الإنسان والحيوان غير الحيوان والتراب غير التراب والنبات غير النبات".<sup>1</sup> ولتمكن فرنسا من تحقيق مشروعها النووي لا بد لها من اختيار المكان الأمثل لمخططاتها، وبعد إقامتها لبعثة استطلاعية على الصحراء وقع الاختيار على منطقة تانزروفت لإنشاء ميدان للتجارب، ويرجع سر تمسكها واهتمامها بالصحراء إلى مساحتها الشاسعة.

وبعد قيام فرنسا بالاستحواذ على كل رقان، وذلك ببناء قواعد متعددة بدءا من منطقة التارقية وبالتحديد هضبة أزرافيل في زمن الأربعينات، وذلك لإطلاقتها على كل المنطقة، فتم تحويلها من هادئة إلى ساحة للتجارب النووية المميتة. ويصف الحساني تحول المنطقة كما يلي: "تغيرت رقان بشكل تجاوزت عهدها السابق حيث زارها السباعي منذ عشر سنين، بل أصبحت باريس المصغرة حسب وصف القادمين منها، مدت الطرق المعبدة، وأشعلت فيها الأنوار وبنيت فيها العديد من المرافق الحيوية، على غرار مستشفيات متعددة وسوق، ومبان وطرق، وذلك ليس لسود عيوننا، بل لحاجة ديغول وحكومته سيقضيها وبعدها سوف يقضي

<sup>1</sup> - الرواية، ص 75

علينا. " نظرا لكون الصحراء موقعا استراتيجيا مهما وقع عليها الاختيار لتحويلها إلى منصة للتجارب النووية.

فبعد إتمام القبض على الحساني وترحيله إلى قاعدة رقان، التي كانت منطقة تنفيذ مخططات وجرائم فرنسا، حاصروه بالأسئلة من يوم ولادته إلى هروبه من البيت الذي طوقته العساكر، بعدها أخذوه للعمل في قاعدة الحياة حيث تم تفريقه عن حمارة الذي زجوه في الحاضرة مع اليرابيع، وفي القاعدة التقى مع صديقه السباعي وانضم إلى الفرق التي تعمل في مخابر سرية مجهولون دورها، ولكن لم يطل الأمر إذ تم تعيين السباعي بالتنقل لممارسة الترجمة، بينما بقي الحساني في مكانه يقول الروائي: "ثم افتقرت مع صديقي السباعي الذي عينوه للتنقل بين القاعدتين التارقية وحموديا لممارسة الترجمة بينما بقيت أنا على مقربة من نقطة الصفر"<sup>1</sup> وبالرغم من تفرقتها والتفجيرات التي كانت تقام، إلا انهما كانا يلتقيان خلصة ويتحدثان خلصة عن مصيرهم المجهول في ظل ما كانت تقوم به فرنسا من تجارب نووية. وقد ارتبطت رواية "غرنة" بهذه الأحداث، التي تقع في منطقة رقان حيث أجريت فيها سلسلة من التجارب النووية التي تعد من أبشع الجرائم التي سعت إليها فرنسا. حيث يعمد السارد إلى التأريخ إلى الحادثة وكيف تحولت المنطقة إلى فضاء للعنف الذي مورس على الإنسان والطبيعة وحتى الحيوان، فيعرض علينا أولى عمليات هذه الإبادة وذلك بتاريخ 13 فيفري 1960، وهي تفجير قنبلة ذرية في إطار العملية التي تحمل اسم "الجربوع الأزرق" في سماء صحراء رقان مما تسبب في كارثة طبيعية وبشرية، ويظهر ذلك في القول: "حمل أول تفجير نووي فرنسي بمنطقة الحمودية برقان اسم الجربوع الأزرق وكانت طاقة تفجيره 60 كيلوطن أي ما يعادل 70 مرة قنبلة هيروشيما اليابانية."<sup>2</sup> حيث استيقظ سكان المنطقة صباح اليوم على الساعة السابعة وأربعة دقائق إثر الانفجار الضخم والمريع.

<sup>1</sup> - الرواية، ص 44.

<sup>2</sup> - موقع سي ان ان العربية الشرق الوسط تحت عنوان بعد 50 عاما.. جزائريون ضحايا دخول فرنسا النادي النووي

2010/3/5 على الموقع: <https://www.aljazeera.net/midan/reality/politics/2022/3/28>

يصف لنا السارد بالتفصيل كيف تمت العملية بقوله أيضا: "في حقل الرمي 2 انطلقت ثلاثة صواريخ صفراء، بعدها بألوان مختلفة، ليتبعها صاروخ أحمر أخير، انتشر ضوء جعل ظلام الغلس نهارا، وفي توقيت السابعة وأربع دقائق اهتزت الأرض كأنه زلزال مدمر أصابها وسمع نوي أصم الأذان.<sup>1</sup> وهذا يبرز قوة الانفجار.

نلاحظ بأن التوثيق التاريخي لحوادث العنف استغرق حيزا كبيرا من الرواية في بدايتها حيث اهتم الروائي بتسجيل لمقتضيات العمليات التي أبادت الحياة في المكان.

وقد ارتكبت فرنسا جريمتها الشنعاء مع سبق الإصرار والترصد غير أبهة للأضرار التي ستخلفها، ذلك أنها كانت تسعى للالتحاق بالنادي النووي آنذاك بنية إظهار عظمتها للعالم، وهو ما دفع السارد إلى تعليقات كثيرة على هذه الحوادث الأليمة فيقول: "جنون العظمة يدفع الجنرال ديغول لتفجير قنبلة ذرية تفوق قدرتها التدميرية قدرة قنبلتي هيروشيما وناغازاكي ثلاثة أضعاف وإن قدرتها التدميرية بلغت 70 كيلوطن من مادة (TNT) المدمرة وفي فطرها السام مادة اليورانيوم المشع والأخطر من ذلك أنه يعمر لمدة أربعة وعشرين ألف سنة..<sup>2</sup>

فهذا التعليق المقترن بحقائق العملية يجعل القارئ يحس بأنه، أمام مؤرخ لولا ربط السارد الحديث عن أهل رقان ومجتمع الرواية المتخيل والذي يشير إلى معاشة أهل الصحراء الخوف والرعدة والكوابيس الكثيرة، بعد تحول المكان إلى مقبرة، ويظهر ذلك بقوله: "في ذلك اليوم سجلت فرنسا دخولها إلى نادي القوى النووية، مخلفة وراءها بالحمودية نفايات نووية ملقاة فوق الأرض التي لا زالت بعد نصف قرن تخلف ضحايا لها.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - الرواية، ص 74.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 75

<sup>3</sup> - الرواية، ص 64

ومن أجل الوقوف على درجة خطورة ومفعول الجربوع الأزرق، يعيدنا السارد إلى الشخصية الرئيسية وهي تقص معاناتها مع صديقها حيث أخضعت فرنسا عينات من عناصر الحياة على الأرض والتي تتمثل في الحيوانات والنباتات من جمال وكلاب وطيور...، وفوق كل هذا أخذت السجناء من شيوخ وأطفال ونساء حوامل ضحايا تجاربهم، أي كفنران تجارب وهذا ما يمثل أقصى صورة للإبادة والهيمنة، والتي كاد أن يروح ضحيتها الحساني وصديقه السباعي، فيقول: "وضعنا-نحن الاثني-في زنزانتي انفراديتين وقد لبسنا ألبسة حمراء، بعدها كتب كل واحد منا وصيته وأسلمناهما لبعض العرب قصد إرسالهما لدوينا لسنا لوحدنا في الحقيقة معنا عدد كبير من المحبوسين والثوار الذين لا نعرفهم، بشر بصفة فنران تجارب سنلتقى في موعد التفجير.."<sup>1</sup> العدد الهائل المأخوذ كفنران تجارب من طرف المستعمر.



(ربط فرنسا لسجناء جزائريين كفنران تجارب لمشاهد تأثير الإشعاعات النووية على أجسادهم الحية.)

وبعد الجربوع الأزرق قامت فرنسا بثلاثة تجارب نووية أخرى في الغلاف الجوي على منطقة رقان، فيأتي بالمرتبة الثانية الجربوع الأبيض في 1 أبريل 1960، والذي كان أقل ضررا بالنسبة للتفجير الأول، غير أنه مس في نفوس الشعب الذعر والخوف والقلق، وفي نفس الحساني حزن هائل وظلام دامس، ذلك بعد تلقيه خبر موت أمه جراء السموم المتناثرة

<sup>1</sup> - الرواية، ص 56

في الهواء، فيقول: "سيارة عسكرية وضعتني في رقان المركز ومنها ركبت مع سيارة أخرى حتى وصلت قصبة المأمون ووجدت السحابة المرملة والسامة في آن قد سبقتني إلى قريتي، ووصلت بيتي، وبحثت عن أعز شيء في قلبي فأخذته، استقرت في صدر أمي حتى فارقت الحياة وحق (لا غالب إلا الله إلا لعنة الله على الظالمين)."<sup>1</sup> فقدان الشيء الوحيد المتبقي عند الحساني. وبعدها مباشرة يأتي الجربوع الأحمر خلال شهر ديسمبر 1960. قد جاءت الجرابيع الثلاثة حسب ترتيب ألوان العلم الفرنسي، وختمت التجارب النووية بالقنبلة الرابعة والأخيرة على السطح والتي سميت "الجربوع الأخضر". ويعود اسم الجربوع إلى حيوان جبلي ينتمي إلى الثدييات، وذكره الكاتب على لسان "ميشيل العطار" فيقول: "الجربوع هو حيوان جبلي ليلي يبلغ طوله 13 إلى 25 سم، لونه من العادة الاصطباغ بلون التربة التي يعيش فيها".<sup>2</sup>

إن هذه التعليقات تساعد في وصف التأثير على المكان الذي تحوّل إلى محرقة طالت الحيوان الذي نسبت إليه القنابل النووية التي فجرت في المكان، وعمت مناطق بعيدة مثل قرية الحساني، حيث انتقلت الإشعاعات إليها وتسببت في موت أمه.

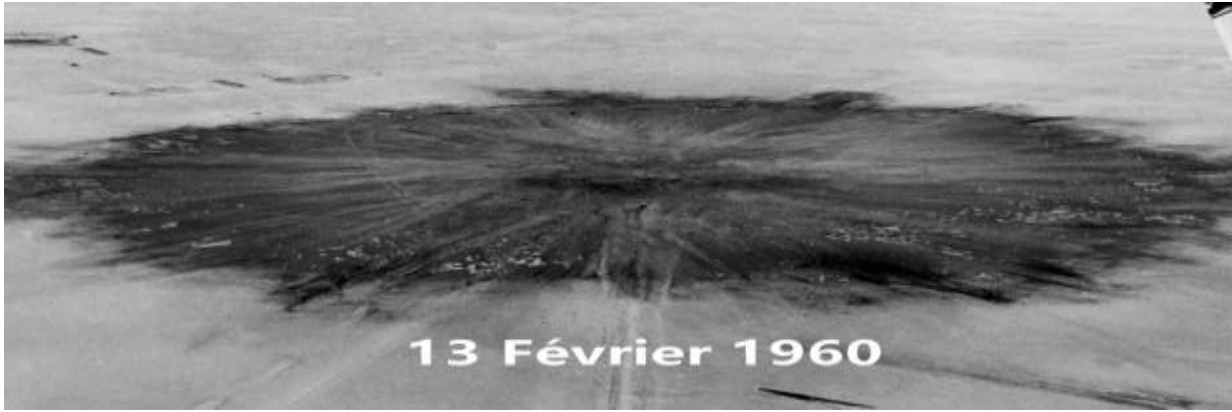
إن المتتبع لحديث السارد عن العمليات الإجرامية في منطقة رقان يعيدنا إلى فترة زمنية مأساوية جعلت المكان تجارب للقتل وإفناء الحياة لذلك أمكن استخراج مراحل هذه التجارب كما يلي في المخطط، بدت لنا الرواية وكأنها إعادة لكتابة تاريخ الجرائم الفرنسية:

<sup>1</sup> - لرواية، صفحة 87.

<sup>2</sup> - الرواية، صفحة 77.

## • التجارب النووية السطحية في الصحراء الجزائرية:

الترتيب	اسم التجربة	الموقع	نوعية القذف	الأهداف	القوة	التاريخ
1	الجربوع الأزرق	رقان	برج 100م	عسكرية	70/60	1960/02/13
2	الجربوع الأبيض	رقان	برج 100م	عسكرية	20L	1960/04/01
3	الجربوع الأحمر	رقان	برج 100م	عسكرية	20L	1960/12
4	الجربوع الأخضر	رقان	برج 100م	عسكرية	20>	1961/04



الجربوع الأزرق

## 3. المكان باعتباره ملاذا:

غالبا ما يواجه الإنسان وقت فراغ كبير يتركه فقدان الحبيب وهذا ما نسميه الغرق في دوامة المشاعر والذكريات التي قضاها معه في ذلك المكان، ولعل هذا ما أدى بالحسّاني إلى الانفصال عن أمه فور عودته من التجنيد الثاني حيث لم يجد سوى بيت بارد مملوء بالذكريات فكلما دخله يكون في حالة غضب ورغبة في الانتقام من الفاعل الذي سلب حياته

منه، فلا أم تمد له الحنان والطمأنينة ولا طير يستمد منه الطاقة، ويظهر هذا في قول السارد: "بقيت في القصة فترة وجيزة أبحث عن الاستقرار في بيتنا لكنني لم أقو أن أعيش فيه، صورة أُمِّي تحاصرني في كل زاوية من زواياه، ضاقت علي الدار بما وسعت ولم أعد أستطيع البقاء فيها" بالرغم من شاسعة البيت إلا أنه يعتبر ضيق بغياب الأحبة. فالبيت لم يعد فضاء للسعادة ولذلك أصبح لا حيز له بل كان يراه ضيقاً رغم شساعته.

ومع كل الألام والقلق والاضطراب الذي واجه الحساني، هرع إلى البساتين لاستنشاق الهواء، ويا لحسرتة حين تذكر حماره تزيقاً الذي كان يحمله إلى كل مكان، فيقول: "نزلت إلى البساتين لكي آخذ نفساً عميقاً، تذكرت الذي كان يحملني إليها، جريه ونهيقه الخرافي في زقاق البور يشدانني إليه اشعر بشيء من الحزن والأسى، لم أستطع البقاء فيه ايضاً.<sup>2</sup> عدم تمكن الحساني من الاستقرار بقريته ثانية بعد كل ما عاشه، ولذلك نرى أنه لم يتردد ولو للحظة في الانفصال، وذلك بدءاً ببيع بيته الوحيد، فيقول: "في الطريق لبيتنا وجدت أحد تجار المقايضة ودون مقدمات طرحت عليه مسالة شراء بيتي الوحيد في القرية."<sup>3</sup> واتخاذ قرار المغادرة، فيقول: "تركت القصة خلفي واتجهت عند الطريق الرابط بين رقان وأدرار."<sup>4</sup> تركه لكل ما يذكره بالماضي والاتجاه نحو مسار جديد. ومكان جديد ليكون له ملاذا يخرج منه من ذكرياته الأليمة.

قاسى الحساني العديد من الويلات والألام في مدينته، مرورا بموت خطيبته "الخادم" وصولاً إلى موت أمه، وهذا ما جعله يقرر الهروب من الآمه ومشاكله والخوض في غياهب السفر لعله يجد السكينة لروحه والشفاء لجراحه. فاختر أن تكون الوجهة "وهران" (التي قد شغلت حيزاً في أحداث الرواية) مع "الصالح الوزاني" الذي قدم له عرض المرافقة إلى المدينة

<sup>1</sup> - الرواية، ص 119.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 119.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 121.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 122.

التي لا طالما وصفوها بالمدينة الفرنسية "باريس". وهذا العرض اعتبره الحساني عرضاً مغرباً لا يمكن لأي شخص رفضه أو مقاومته، وقد رأى في هذا العرض سبباً في تحسين ظروف حياته والانطلاق في حياة أفضل مليئة بالسلام، وذلك هروباً من الموت والشروع في حياة أفضل بنشر السلام في العالم. يقول الحساني: "عرض علي الصالح الوزاني المرافقة في عودته إلى وهران، وهل يتردد سائح مثلي شعاره (قل سيروا في الأرض) في عرض مغرب كهذا والتسيير موجود.<sup>1</sup> مرافقة الحساني للوزاني إلى وهران بغية نشر السلام. وبعد مدة دامت يومين، وصل الحساني إلى المدينة التي وصفها بقوله: "الباهية تتجلى لناظرها، مبانيها العتيقة تنتشاهق والمعالم الأثرية التي تدل على تعاقب الحضارات وتعدد الثقافات تتمرأى، وعدت إلى مدينة بدأت تظهر مفاتها أرصفة مسفلتة، شوارع منظمة، ميناء يضج بالحركة، أسواق مكتظة، وعمارات شاهقة."<sup>2</sup> اعتبار الحساني مدينة وهران بمثابة وعاء جمع الكثير من الصفات التي تجعلها متميزة، وكذلك تميزها بحركتها ونشاطها الذي واكب العصر، وأيضاً آثارها التي تدل على عراقتها وثقافتها العتيقة.

استطاع **العصماني** بعد إصرار كبير وطويل أن يقنع صديقه الحساني بالمكوث عنده، معرفاً إياه بإبن عمه "مصباح" الذي أخذ به دوره لاكتشاف خبايا ما كان يجهله عن وهران، وقام بالعديد من الزيارات، وكان آخرها مسرح الأوبرا الذي كان يذهب إليه مراراً وتكراراً لرؤية العروض المسرحية والفنية، وفي أحد عروض الفلامينكو، بدأ الحساني في أداء رقصات القرقابو مع رقصات الحضرة والتي بسببها تم استدعاءه من طرف الفرقة لحضور مهرجان الصيف في غرناطة، فيقول: "بعد الخروج من دار الأوبرا، فتحت الظرف ليفاجئني بأنها دعوة من جمعية فلامينكو لحضور مهرجان هذا الصيف أي حوالي شهر من تلك اللحظة."<sup>3</sup> ومن هنا تبدأ رحلته الجديدة في نشر السلام في بلد آخر.

<sup>1</sup> - الرواية، ص 193.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 197.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 219.

الملاحظ في اعتبار المكان ملاذا بالنسبة للحساني أنه ركز على كل ما يدفع الى البهجة ونسيان المآسي السابقة، ولذلك وجدناه يصف لنا طبيعة وهران الباهية وأساليب الرفاه الذي جعله يعقد علاقات ويعثر على أصدقاء قادوه إلى ملاذ آخر من الأمكنة بعد التعرف على فرقة موسيقية إسبانية. وانتقاله إلى إسبانيا بعد تعرفه على سيرافينا، التي كانت علاقتها بها تأكيداً لهذا التحول الذي أصبحت هي والمكان ملاذا بالنسبة له.

بعد وصول الحساني إلى غرناطة واستقبال سيرافينا له على طريقة الملوك، استقر في فندق "شين البيازين"، وعرفته على الكثير من الأماكن، حيث كانا كل يوم يقومان باستكشاف مكان جديد، ومع كل المناقشات بينهم أصبحت زوجته. ومع مرور الوقت والعديد من المحاولات في الإنجاب رزقا بولد سموه جابرا، الذي بسببه توصل الحساني وزوجته إلى الطلاق. ذلك بعد اكتشافهم لمرض الابن بتشوه عقلي وعليه بدأت سيرافينا تلوم الزوج على أنه السبب فيما أصيب ابنهم.

غير أنه واصل تفكيره في تغيير وضعيته، غادر الروائي إلى "فرنسا" محاولاً نسيان ما عاشه مع سيرافينا، وأثناء مكوثه هناك التقى مع أصدقاءه القدامى، فقرروا إنشاء جمعية هدفها الدفاع عن الإنسان من غول الاستعمار. ترأسها الطبيب دولاكروا والتي شعارها "الله يهيننا".

يعبر هذا الشاعر عن رغبة دفيئة في تجاوز المحن والبحث عن الملاذ، لنجد أنفسنا أمام مفارقة مفادها أن فرنسا التي أبادت الحياة في رقان هي التي أصبحت مكاناً للهناء ونشر السلام.

■ ومن التقنيات التي تؤكد على النزوع نحو التغيير في المكان، عدم قيام الروائي بالعودة إلى الماضي إنما ينقلنا إلى زمن المستقبل. وفي رواية عبد الله كروم يظهر في قوله:

"أنتظر يوم 15 جوان بكل شوق، أريد الحرية أريد الخروج من مقبرة النفايات."<sup>1</sup> فانتظاره ليوم تسريحه من التجنيد، وهذا استباق على المستقبل. ويظهر في قول آخر: "بدأت أفكر في مستقبلي، لا زلت مؤمنا بالثورة وأنا على يقين أن الظالم مهزوم لامحالة."<sup>2</sup> إن هذا النوع من الأمل مرتبط بتغيير المكان الأفضل ليصبح ملاذا له، ولذلك ربط التغيير بالمستقبل وبالسلام الذي ظل يلازمه حتى في أحلك الظروف، بعد انفصاله عن زوجته وابنه.

### المبحث الثاني: العلاقة العاطفية بالمكان

#### 1. المكان باعتباره حنيناً وذكريات:

استخدم عبد الله كروم في روايته "غرنة متاهة زقاق الظلمة" تقنية التقديم والتأخير ويظهر ذلك من خلال استناده لشخصية الحساني والتي من خلالها أبرز لنا الحياة المأساوية التي عاشها الشعب الجزائري أثناء الاستعمار وخاصة التجارب النووية التي أقيمت في الصحراء.

لكل منا ذكريات خاصة به، مضت وانتهت ولكنها ما زالت تنبض بالحياة، قد تكون جميلة وقد تكون مؤلمة، وفي الرواية تدور الأحداث في "قصة المأمون" والتي تعد مكان إقامة الشخصية الرئيسية. بدأ الحدث الأول بزواج الحساني الذي لم يتم بسبب المستعمر الذي هجم على المكان لأخذه الى التجنيد يقول: "أخذوني للحرب مكررا أنا الفنان النحيف الذي لم يسيئ يوم لذبابة ولم يذبح في حياته شاة بل كنت أخاف منها حتى يوم عيد الأضحى"<sup>3</sup> أخذوه رغما عنه وذلك بعد اغتيال الخادم خطيبته أمام عينيه يقول: "فقدت حبيبتي الخادم صافية البسمة حسب تعبير الشاعر الشلالي بسبب جندي محتل أرعن

<sup>1</sup>- الرواية، ص 116.

<sup>2</sup>- الرواية، ص 120.

<sup>3</sup>- الرواية، ص 60.

اغتصبها" هذا العنف الشديد من طرف فرنسا واستعمالهم للقوة ناتج لرفض الجزائريين للتجنيد.

خاض الحساني حرب الهيندوشين أو كما تسمى أيضا الحرب الهيندوصينية الفرنسية التي دامت ثماني سنوات والتي لم تكن سهلة عليه ويظهر في قوله: "عشت في فينتام سبع سنوات لم يكن الأمر عسلا بل كان مرارة وتضحية وكفاحا متواصلًا"<sup>2</sup> بين لنا الجحيم الذي عاشه في تجنيده الأول. "عندما يسبح الإنسان في بحر الذكريات يستذكر ما مضى من ألم يتمنى لو يأتي من يهديه طوق نجاه"<sup>3</sup> تتواصل الأحداث بعد عودته إلى قصبة المأمون في قوله: "وعندما رجعت من حيث بدأت حيث قصبة المأمون لم أجد سوى بيت أمي وأويني إلى حين من التشرذم.. وحماري تزيقا ليحملني إليه وإلى الأماكن البعيدة"<sup>4</sup> بعد المحن والشدائد غير أسرتك لا أحد يقف إلى جانبك.

يعود بنا الكاتب إلى أيام إلى أيام الطفولة حيث أنه كان خبير بعالم الطير ولا يزال إلى حد الآن فيقول: "في صغري كنت خبيراً بعالم الطير وما زلت إلى اليوم أوفر خبرة بحقلها أعرف سلالتها وأصنافها وأحجامها وأصواتها وحتى لمن اختلط لدية الذكر بالأنثى كنت أميز بينهما"<sup>5</sup> وما جعله خبير إلى هذا الحد هو تربيته لها في صغره ويتمثل ذلك في قوله: "حفرت وكرا في حائط بيتنا بزقاق الظلمة وربيت غرنوة والورقاء أنثاه"<sup>6</sup> هذا ما جعله يفرق بينهما.

بعد غياب شريك الحياة أعاد عالم الطير توازن الحساني ويظهر ذلك في قوله: "تجددت في نفسي هواية قديمة إنها تربية الحمام الذي أعادني الدهر إليها كطفل مدلل أقبض

<sup>1</sup> - الرواية، ص 59.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 61.

<sup>3</sup> - مقال موسوعة إقرأ، خواطر عن الذكريات، <https://iqrae.com>

<sup>4</sup> - الرواية، ص 60.

<sup>5</sup> - الرواية، ص 21.

<sup>6</sup> - الرواية، ص 22.

عليها في وكرها"<sup>1</sup> كما أعاده أيضا حماره تزيقا الذي كان يعتمد عليه في كل شيء يقول: "تزيقا رجلي وظهري في هذه الدنيا أتقل عليه إلى أي مكان وأحمل عليه أثقالتي"<sup>2</sup> إذ يعتبره كسند ووسيلة نقل ويظهر كذلك في قوله: "أردفت معي الغيواني على حماري تزيقا ونزلنا للعمل في بستان السباعي كالعادة"<sup>3</sup> وكان يتعرف عليه ويميزه من خلال صوته وذلك في قوله: "لا يخطئني صوته حتى في غسق الليل"<sup>4</sup> تمييزه له عن بعد.

تطرق الروائي مباشرة إلى اللقاءات المتعددة بين الحساني وأصدقائه التي كانت تجرى في بيت السباعي بسرية تامة مناجل دعم الثورة يقول: "مساء ذلك اليوم التقينا في دار السباعي لتقسيم المهام ووضعنا خطة لجلب الأموال التي ندعم بها صفوف جيش التحرير الوطني"<sup>5</sup> إذ أنهم كانوا يدعمون الجيش بكل قدراتهم.

كان كلما انكشف أمرهم يغيرون الجهة وذلك يظهر في قوله: "بيت السباعي الجديد ملاذنا"<sup>6</sup> ومع حرصهم الشديد على عدم انكشافهم إلا أنهم أصبحوا تحت المراقبة يقول: "أصبح بيته قبلة للثوار وشبهة لدى عيون فرنسا الذين وضعوه في دائرة المراقبة والشك يسجلون كل شاردة وواردة إليه"<sup>7</sup> وقد أدى هذا إلى مدهامة فرنسا لهم يقول: "بعد العصر وبينما نحن الثلاثة أنا وبازا والسباعي في منزل هذا الأخير إذ سمعنا دقا عنيفا على الباب صعدت للسطح إذا بدورية للبوليس أمامه فهمت على الفور انفضاح أمرنا"<sup>8</sup> تم القبض على السباعي على مرأى زوجته وبكاء ابنه يقول السارد: "وانتصبت سو زوجة السباعي مصدومة

<sup>1</sup> - الرواية، ص 21.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 23.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 105.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 23.

<sup>5</sup> - الرواية، ص 27.

<sup>6</sup> - الرواية، ص 62.

<sup>7</sup> - الرواية، ص 24.

<sup>8</sup> - الرواية، ص 42.

فيما شرع ابنها الشينوي بالبكاء بعد أن اعتقلت الدورية أباه<sup>1</sup> وذلك بعد هروب الحساني على حماره لكن الأمر لم يدم طويلا حيث انكشف أمره بعد إفساد تزيقا الكيل في ساقية بحلمام في ضواحي وادي بوعلي حيث حكم عليه بالتعويض وعند كتابة الحكم تعرفوا على اسمه وعلى أنه قيد البحث لدى الجيش الفرنسي فقاموا بترحيله هو وحماره إلى رقان فيقول: "حكم عليا بالتعويض خمسين فرنكا ولما أراد كتابة الحكم أعاد إسمي مرتين فاتسعت باصرتاه ليتذكر بعدها أن هذا الاسم قيد البحث عند الجيش الفرنسي ثم منحني استدعاءين أحدهما لي والأخر لحماري، وأمر سائق الشاحنة بترحيلي إلى رقان.<sup>2</sup> الإمساك بالحصاني بعدما حاول الهروب.

## 2. المكان وعلاقته بالمغامرة العاطفية:

بعد فقدان الحساني الشغف بالزواج، ومع الشؤم الذي كان يلاحقه حيث كلما تقدم لخطبة فتاة توفيت أو فقدت ومع كل ما عاشه من صعوبات ودمار في رقان قرر السفر ونشر السلام، فكانت الوجهة غرناطة بعد عرض من جمعية الفلامينكو التي تعرف عليها أثناء مكوثه في وهران. وفي سفر الحساني، استقبلته سيرافيا والتي هي راقصة في الجمعية على طريقة الملوك، فيقول: "سيرافيا راقصة الفلامينكو تستقبل الحساني على طريقة الملوك والفنانين.<sup>3</sup>

وبعد اكتشاف المكان مع سيرافيا التي عرفته عليه في غرناطة، مرت الأيام والمحادثات واللقاءات العاطفية لا تزال قائمة بينهما حتى وصل يوم السعد حيث ذكر فيه المخطوط الذي قدمه الشيخ الصادقي للحساني ويا للصدفة فحتى "سيرافيا" اتضح أنها تملك واحدا مثله ويظهر ذلك في قوله: "في بيتها المتواضع وبعد العشاء البسيط حملت إلي

<sup>1</sup> - الرواية، ص 42.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 43.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 223.

المخطوط وكنت قد وضعت الخاتم في جيب والمخطوط في جيب آخر قرأته بعناية، هذا الخطوط يشبه تماما الموجود عندي"<sup>1</sup> ومن بعد التدقيق الشديد في كلا من المخطوطين وجد كلا منهما نصفه الثاني فاخذ الحساني الخاتم من الجيب فالبسه إياها كخطيبة فيقول: "مسكت الخاتم باليمين وألبسته لها كخطيبة"<sup>2</sup> تزوجا، مرت الأيام والأشهر والسنوات لكن الله لم يقدر لهم أن يصبوا أبوين إلا أن هذا لم يَأثر على حبهم وثقتهم ببعض. حيث كانا يقومان بالعديد من الفحوصات والتحاليل حتى جاء ذلك اليوم المنتظر، حمل سيرافيا.

ولدت سيرافيا ابنها الذي سمته جابرا، مرت الأيام والفرحة لا تتركهم، كبر الطفل وبدأت الأم تلاحظ عدم قدرته على الكلام ولا حتى الضحك، عندما أصبح في سن السادسة بدأت تظهر عليه علامات التخلف الذهني. صعب الأطباء في إسبانيا على تشخيص مرضه فاقترحوا عليهم أخذه إلى مستشفى "باستور" في فرنسا، وهنا بدأت المعاناة العاطفية السلبية بعد مغامرة جميلة جعلته أسعد إنسان،

وصل الحساني وزوجته وابنه بعد عناء من السفر، دخلوا المشفى، ومع التحاليل الكثيرة اتضح أن ابنهم مصاب بتشوه دماغي، ويظهر ذلك في قوله: "في الصباح دخلنا للمستشفى.. فحوصات دقيقة وعناية مركزة بجابر، كانت سيرافيا قد شعرت بالألم في رأسها ورقبتها منذ بدأت تصرخ في البيت ولما رأت الفحص متطورا والأجهزة دقيقة أجرينا جميعا التحاليل، وفي اليوم الثالث راجعنا الطبيب المختص في الأورام ومعنا الصور الطبية ليخبرنا أن ابننا الغالي جابر الذي ملا المستشفى ضجيجا، وقطع العديد من الأسرة، وكسر زجاجة، يعاني من تشوه دماغي عسير العلاج."<sup>3</sup> كما يظهر أيضا بالتهابات في الغدة والحساني بورم البروستات وكذا الصديقان ميشيل وباستيان اللذان التقى بهما في المشفى، كلاهما أيضا

<sup>1</sup>- لرواية، ص 229.

<sup>2</sup>- الرواية، ص 230.

<sup>3</sup>- الرواية، ص 239.

مصاب، وبعد اكتشاف سيرافيا لكل هذا تغيرت وأصبحت عنيفة حيث تقوم بتوبيخ الحساني على كل شيء هو وبلاده. وعلى أن هذه الأمراض جاءت بسببه أي انه كانت نتيجة الانفجارات والإشعاعات النووية التي كانت تقام في بلاده.

فأخذت جابرا وأخبرت الحساني على رغبتها في الطلاق فنقول: "أيها العربي الوقح لم يعد بيني وبينك شيء".<sup>1</sup> عادت إلى غرناطة مع ابنها وبدأت في الإجراءات اللازمة. تبعها لكن بلا جدوى حيث أن كل محاولاته باتت بالفشل. أعطت المحكمة حق الحضانة للأم واحتفاظ الأب على حق الزيارة مره واحدة.

مع كل الحب الذي كانا يعيشانه معا توصل الزوجان إلى الطلاق والافتراق عن بعضهما، بعد تأزم العلاقة وذلك بسبب مرض الابن الذي كان نتيجة للإشعاعات النووية التي لا تزال أثارها إلى اليوم.

ويتضح من خلال علاقة الحساني بالإسبانية أن المكان الذي كان مغامرة جميلة جمعت قلوبهما تحول إلى فضاء لإنهاء تلك المغامرة، وهو ما يعني أن المكان حيز محايد وأن الإنسان هو الذي يصبغ عليه من ذاته وأحاسيسه، فكلما تغير إحساس الإنسان وعاطفته تتغير أيضا العلاقة بالمكان. وقد أكد حسن بحراوي ذلك بقوله: "إن المكان يبدو كما لو كان خزاناً حقيقياً للأفكار والمشاعر والحدوس، حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة ويؤثر كل طرف فيها على الآخر."<sup>2</sup> وبهذا قد أكد العلاقة المتواجدة بين الشخصية والمكان، إلا وهي علاقة تأثير وتأثر. باعتباره فضاء للعواطف والأحاسيس. فبذلك يعد المكان عنصر بارزا من عناصر العمل الروائي، وإطار للأحداث، حيث لا يمكن بناء رواية دون شخوص تتفاعل وتحس، بل إن حالاتها العاطفية غالبا ما تساعد في تطور الأحداث، في علاقتها

<sup>1</sup> - الرواية، ص 240.

<sup>2</sup> - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمان، الحدث)، ص 29.

بالمكان، فإذا كانت كل مكونات السرد مرتبطة فيما بينها، فإن المكان هو الأكثر ارتباطاً بالشخصية إذ يعتبر "خشبة مسرح واسعة تعرض الشخصيات من خلالها أهواءها ونوازعها وآمالها، تحب إن أحببت عليه وتكره إن كرهت من خلاله".<sup>1</sup> فالمكان والشخصية عنصران متلازمان إذ لا يمكن تصور الأول دون الثاني فبالنفاصل بينهما تتشكل الرواية.

ولذلك ارتبط المكان في الرواية بالشخصية الروائية التي لعبت دوراً محورياً، وأدت مجموعة من الوظائف داخل الرواية، كما أسهمت في تكوين المكان وبنائه عن طريق حركتها التي تبث الحيوية فيه. وعرفها سعيد يقطين على أنها: "من أهم مكونات العمل الحكائي، لأنها تمثل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترايط وتتكامل في مجرى الحكاية".<sup>2</sup> يعني أن الشخصية بعدما كانت غائبة لمدة من الزمن، لقيت تطوراً ملحوظاً. وكما تعد أيضاً الشخصية: "ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا، وعن دينامية الحياة وتفاعلها، فالشخصية من المقومات الرئيسية للرواية. فلا وجود للرواية دون الشخصيات".<sup>3</sup> ولا وجود لشخصية ولا لأحداث تقوم بها دون محرك عاطفي وراءها.

### 3. المكان باعتباره فضاء للعادات والتقاليد:

العادات والتقاليد تعكس ثقافة المجتمع وتمثل جزءاً أساسياً من هويته. والصحراء تتجلى في العديد من هذه العادات التي تعكس تراثاً عميقاً وروح الكرم والضيافة، وهي جزء من تكوين البنية العاطفية للإنسان الصحراوي، وتتميز أيضاً بالمحافظة على عاداتها رغم كل ما كان يمر به أهلها. وفي روايته "غرنة" أراد عبد الله كروم منذ البداية إيصال وعرض حضارة

<sup>1</sup> - حسن بوحسون وآخرون، جمالية المكان الفني (مقارنة نظرية)، مجلة دراسات، مج5، ع1، الجزائر، 2016، ص 24.

<sup>2</sup> - سعيد يقطين، قال الراوي؛ البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1997، ص 87.

<sup>3</sup> - مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، حكاية بحار، الواف البعيد، السورية العامة للكتاب، ط1، دمشق،

أهل الصحراء بدءا بذكر الطقوس التي تقام في "قصة المأمون" أثناء حفل الختان، من تحضيرات الكسكس إلى إقامة الوليمة لعامة السكان فيقول: " صباح ذلك اليوم أقام "السباعي" وليمة كبيرة لساكنة "قصة المأمون"، حضرها كل من بلغ الصيام، وليمة تداعى لها المدعوون من كل بيت وشارع، وتحلقوا عشرة عشرة، وكل حلقة توضع لها قطعة طعام بمكبتها، الذي غطى الكسكس المبتل وكيلوغراما من اللحم البلدي.<sup>1</sup> فمن خلال وصفه للوليمة يتضح سخاء أهل الصحراء وكرمهم وخاصة في مثل هذه المناسبات.

وقد قام من جهة أخرى بتبيان اختلاف العادات من منطقة إلى أخرى، حيث يختلف تحضير الشاي في صحراء النخلة عن الشاي في صحراء الناقة فيقول: "يختلف تحضير الشاي عندنا في "صحراء النخلة" عنه في "صحراء الناقة"، في الأولى يحضر بماء مغلي وبيبرادين وتحضر نكهة النعناع أو عشبة الشيبية أو العنبرية ومدته أقل، لكن تركيزه أقوى، أما في صحراء الناقة فمدته أطول ويحضر ببرد واحد، وماء فاتر، وتغلب عليه التحلية بالسكر، وفي الغالب تصنعه المرأة ببراعة وتفنن.<sup>2</sup> التنوع الموجود ما بين المناطق الصحراوية.

أما الطبيب "دولاكروا" الذي أخذ حيزا كبيرا من الرواية فقد كان بمثابة الواسطة التي دون من خلالها في مذكراتها عادات وتقاليد الصحراء وهي إشارة إلى أن الاستعمار الفرنسي لم يكن عسكريا فحسب بل كان صاحبه اكتشاف للجانب الأنثروبولوجي للإنسان الصحراوي، فهو في مذكراته التي تتناوب مع سرد السارد يذكر بعض العادات والطقوس والتي كان شاهدا لها في "قصة المأمون"، والتي كانت تقام في أوقات وأماكن معينة، ومن بين هذه العادات زيارات الأولياء الصالحين، يقول: "تنتشر بمنطقة "رقان" مظاهر القباب ومزارات الأولياء الصالحين وإقامة الوعدات السنوية لكل ولي، ومن أشهر الزيارات زيارة "مولاي عبد الله الرقاني" في أول ماي، وزيارة "الوديعة" ب"تاويرت" يوم 23 أفريل من كل عام. أسجل

<sup>1</sup> - الرواية، ص 67.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 151.

أن الزيارات أو الاحتفالات بالأولياء غالبا ما يكون في نهاية الموسم الفلاحي؛ حتى يتسنى للناس استقبال الزوار في نهاية الحصاد. بظهر في الزيارات اللباس التقليدي والفولكلور المحلي والذي يتمثل في رقصات شعبية مميزة، رقصات متنوعة مثل الطبل والبارود والحضرة.<sup>1</sup> والملاحظ عل استرسال الطبيب في وصفه لطقوس أهل الصحراء الاهتمام الكبير للفرنسيين بهذا المخيال الاجتماعي وتراث الصحراء وطرق عيشهم وانبهار الطبيب من عدم ترك أهل الصحراء لتقاليدهم رغم الموت الذي كان يلاحقهم جراء التجارب النووية في منطقتهم.

---

<sup>1</sup> - الرواية، ص 35.

# الفصل الثاني

## اشتغال الشخصيات في المكان

المبحث الأول: المكان باعتباره فضاء لتعارف الشخصيات

المبحث الثاني: دور المكان في مواصفات الشخصيات

المبحث الثالث: علاقة المكان بزمن السرد

1-المكان ودوره في إبطاء السرد

2\_المكان في سرد مذكرات الآخر

**تمهيد:**

للمكان علاقة وطيدة بالشخصيات، فهي من أهم وأبرز العلاقات المتشكلة في العمل الروائي، كون الشخصية تلعب دورا هاما في الحيز المكاني الذي يمثل الإبصار الحركي لأفعال الشخصية، كما يعد التشخيص هو محور التجربة الروائية. فالشخصية من بين العوامل المساعدة في تشكيل العالم الروائي، والمساهمة في تطوير الأحداث، وعليه فإن حضور الشخصية شيء مهم في كل الأجناس الأدبية وخاصة الرواية منها، لهذا يقوم الروائي باختيار أسماء شخصياته بانتظام وذلك للتمييز بينها. ونجد بعضها مساهما وفعالا في حركة سرد الأحداث، والبعض الآخر كان مدعما لمسيرتها وبنائها. كما لا بد أن يكون للشخصية فضاء تشتغل فيه وقد ترتبط بالمكان لارتباطه بذكرى معينة. وهو كذلك الحيز الذي تحدث فيه العلاقات بين الشخصيات.

الرواية في الأساس فن زمني/ مكاني، لذلك فإن الحديث عن أحد هذين العنصرين يصبح بالضرورة الحديث عن الآخر، إذ لهما أثر عميق في نسج بنية النص "فالزمان لصيق الصلة بالمكان، وكلاهما يشكلان محورا جدليا لفهم الوجود"<sup>1</sup> أي أن الأول يكمل الثاني بحيث أحدهما يهيمن على الآخر أو بالأحرى لا يوجد فصل بين الزمان والمكان.

وبما أن النص الروائي يركز على ثنائية الزمان والمكان ويعتبران الإطار الذي يضمن سير عجلة الأحداث ودينامية الشخصيات فإنهما يندمجان مشكلين ما يعرف (بالزمكانية) الذي أطلقه ميخائيل باختين حيث يقول: "سوف نطلق تسمية "الزمكانية" الكرو وتوب على ما نستطيع ان نترجمه حرفيا زمان ومكان"، وهو الربط الأساسي بين العلاقات الزمكانية كما استوعبها الأدب"<sup>2</sup> التفاعل الواضح بينهما.

<sup>1</sup>- وردة معلم، الفضاء الروائي، المصطلح والعلاقات، مجلة الآداب، العدد 14، جامعة 8ماي 1945، قالمة، ص89

<sup>2</sup>- أمينة رشيد، علاقة الزمان بالمكان في العمل الأدبي، زمكانية باختين، مجلة بحوث ومقالات، دار المنظومة، مج2،

فالزمان والمكان يرتبطان ببعضهما البعض، ولهما دور مهم في تشكيل بنية السرد، وإذا كان المكان هو خلفية الأحداث وتطورها، فإن الزمان هو سير الأحداث ووقوعها "فالحكي عن مكان ما دون الإشارة إلى عنصر الزمان يعتبر عملا لا يرقى إلى الفنية الأدبية باعتبارهما وحدتين متكاملتين لا تقبلان الفصل أو الانشقاق".<sup>1</sup> ونفهم هنا أن العلاقة بينهما تكاملية إذ لا يوجد مكان بلا زمن ولا زمان بدون مكان. بالتالي فإنهما يقومان على الربط بين أجزاء الرواية لذلك "عندما نتحدث عن مكان فإننا نتحدث عن زمانه ولذلك يعد الزمان أحد أبعاد المكان"<sup>2</sup> أي أن لكليهما دور في بناء الرواية.

وتتجلى علاقة المكان بالزمن من خلال رواية غرنة في قول الحساني: "من حقل الرمي 2 انطلقت ثلاثة صواريخ صفراء بعدها بألوان مختلفة، ليتبعها صاروخ احمر أخير، نتشر ضوء جعل ظلام الغلس نهارا وفي توقيت السابعة وأربع دقائق اهتزت الأرض كأنه زلزال مدمر أصابها".<sup>3</sup> إطلاق الصواريخ في مكان معين وساعة محددة، هنا أصبح الزمن والمكان متلازمان (السابعة وأربع دقائق وحقل الرمي 2).

وكما تقول يمنى العيد عن الزمن في عالم الرواية على انه: " زمن متخيل، وهو زمن يختلف عن الواقع الاجتماعي الذي تحكي عنه الرواية"<sup>4</sup> بمعنى أنه يقوم باختصار الحدث الواقعي والذي كانت مدته تتجاوز سنوات في جملة بسيطة. كما يقول أيضا مهدي عبيدي عن الزمن بأنه "ليس زمنا واقعيًا وإنما هو زمن تكثيف وقفز وحذف وتقنيات يستخدمها الروائي لتجاوز التسلسل المنطقي للزمن الواقعي الموضوعي، إنه زمن مرن يتحرر فيه الروائي من قيوده ويتسع ويتقلص".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - بوعافية أحمد، أهمية الزمان والمكان في العمل القصصي من منظور النقد الأدبي المعاصر، المركز الجامعي، تمراست. حوليات جامعة بشار، مج17، ع17، 2017، ص223

<sup>2</sup> - مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه: حكاية بحار، الدقل، المرآف البعيد، ص 225.

<sup>3</sup> - الرواية، ص74.

<sup>4</sup> - يمنى العيد، في معرفة النص، دار الأفق الجديد، ط1، بيروت، 1983، ص227

<sup>5</sup> - مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، ص 229

## المبحث الأول: المكان باعتباره فضاء لتعارف الشخصيات

يفرض وجود الشخصية في الرواية بالضرورة وجود أمكنة تتحرك داخلها وتبرز الأحداث التي تقع فيها، فالشخصيات تقصد أماكن معينة، يقول صلاح صالح: "إن وجود الأمكنة موضوعيا لا يرتبط إلا بالوجود الإنساني فالإنسان قادر على منح الأمكنة والأشياء قيمتها وقادر على تغيير ملامحها وتشكيلها وفق أنماط مختلفة"<sup>1</sup> وهذا دليل على العلامة المتبادلة بين المكان والشخصية فكل منهم يمنح الآخر العملية فلا يمكن للمكان التفاعل إذا كان فارغ من الشخصيات.

بدأ عبد الله كروم السرد بتذكره للماضي وحسرتة على الأيام التي مضت وعلى الذكريات المأساوية التي عاشها بدا بيوم الشؤم حين قتلوا خطيبته واعتقاله من طرف الفرنسيين لأداء التجنيد في فييتنام، ومن ثم تطرق مباشرة إلى ذكر لقاءاته المتعددة مع أصدقائه وذلك بعد عودته مع التجنيد الإجباري، فيقول الحساني: "تحية خير عليكم تدوى تباعا تحية من عند إنسان القصبه الطيب طيبة ليجتمع رفقاء الجوع الثلاثة مرة أخرى في دار طينية وتحت الخشب والكرناف ويتحاكون ماضيهم التعيس يوم خرجوا من القرية صعاليك"<sup>2</sup> وهذه اللقاءات تقام في سرية تامة وبالرغم من عدد المرات التي تم كشف أمرهم إلا أنهم لم يستسلموا وذلك بتغيير المكان في كل مرة، يقول السارد: "بيت السباعي الجديد ملاذنا نجتمع فيه نحن الثلاثة ورابعنا غيواننا الذي يضفي روح المرح على جدية السباعي"<sup>3</sup> ولكن لم يستطيعوا الصمود أكثر بمراقبة المحتل الذي قبض على السباعي بعد التأكد من إعاقة بازا وهروب الحساني.

وبعد الهلع الذي أصاب هذا الأخير خوفا من تعايش التجنيد للمرة الثانية، وصل هو وحمارة إلى ساقية محرمة الشرب لأنها قيد الاكتيال للاسترخاء، فاعتقلوه بعدما خرب تزيفا

<sup>1</sup> - صالح الصالح، قضايا في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص 136.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 37.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 62.

فيها، وأثناء كتابة الحكم تعرفوا على اسمه وعلى أنه مطالب لدى الاستعمار الفرنسي لإعادة التجنيد فقاموا بترحيله إلى رقان، منها بدأ بالتعرف والتعايش مع شخصيات جديدة ونذكر منها ميشيل العطار الذي كان يعمل معه في الورشات المفتوحة ويظهر ذلك في قوله: "في الصباح التقيت مع الزميل الجندي الفرنسي ميشيل دوفاري الذي كنا قد تعرفنا على بعضنا في الورشات المفتوحة"<sup>1</sup>. كما تعرف أيضا على الطبيب جوزيف دو لكرولا الذي جاء هو الثاني مجند في صفوف الجيش الفرنسي وكما ذكر شخصيات ثانوية تعرف عليها الحساني والتي مر عليها الكاتب مرورا عابرا منها القائد ديبوسي ديفيد جونسون نادين الفرنسية....

وبعد انتهاءه من التجنيد في رقان وعودته إلى قصبة المأمون بدأ بسرد القرار الذي اتخذته ويتمثل في الخوض في حرب السفر ومعرفة حقيقة الإنسان إذ يصادق عليه الشيخ الصادقي يقول له: "سح في الأرض والحمام في المنام كما في اليقظة رمز السلام والبشائر وأنا معك في نشر السلام في العالم"<sup>2</sup> وبالكاد خرج من عند الشيخ وإذ بأولى البشائر تتحقق بظهور شخصية "محمد لمين" الذي خاض معه العديد من المغامرات، حيث عرض عليه مرافقته إلى الصحراء فلم يكن بوسعه إلا القبول فيقول: "ها هو محمد لمين الحساني بالقرب من دار الشيخ يملا قراب الماء من الساقية، بادر بالقول ألا ترافقني في رحلة إلى الصحراء يا الحساني!" وفي الطريق تبادل أطراف الحديث بالتعرف على بعضهما البعض أكثر، كما تعرف أيضا على شخصيات جديدة بدأ "بيسلم بوها" الماكثة بحاسي الناقة والتي استقبلتهم أحسن استقبال، يقول الكاتب: "حوالي حاسي الناقة مجموعة من الحلل، عند حلة "لعروسين" نزلنا وبالضبط عند امرأة تسمى يسلم بوها، بصدر رحب استقبلتنا امرأة لا يشيخ حسننا"<sup>3</sup>. ومن بعدها أخذوا الطريق إلى آل المحبوس حيث التقوا بالواعرة التي أصبحت زوجة محمد لمين بعدما كان المهر غزالا، فيقول: "بعد انتهاء الغداء قرأ المأذون خطبة النكاح وأعلن

<sup>1</sup>- الرواية، ص 49.

<sup>2</sup>- الرواية، ص 136.

<sup>3</sup>- الرواية، ص 147.

نكاح محمد لمين بالواعة بنت المحبوس تم بحضور وليها وشاهدي عدل<sup>1</sup>، ظلوا هناك ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع واصلا سيرهما بحثا عن سيدي هدارة، الذي تفاجؤوا بخبر موته من طرف رجل بدوي أخبرهم بأنه فارق الحياة، والذي بادر بأخذهم إلى مرقدته وفي الطريق قص عليهما ما لم يعرفوه عنه يقول السارد: "واصل البدوي يقودنا إلى مرقدته ويكمل بقية ما يعرفه عن العارف"<sup>2</sup>.

وبعدها انتقل الكاتب مباشرة إلى سرد رحلة بحثه عن شريكة الحياة فبعد اغتيال خطيبته "ال خادم" تعرف على "حدهم" التي انتهى بها المطاف بالموت هي الأخرى قبل الزفاف بأيام فيقول: "ماتت حدهم وبقيت بين الحياة والموت"<sup>3</sup> وبعد مرور الوقت عوض بأختها خلاصهم التي لها مصير مختلف حيث أنها اختفت بلمح البصر عند جمع الحطب من البساتين، فلم يجدوا لها أثر وذلك بعد تصريح زميلتها التي قالت "أنها راتها وصلت للنخلة المجاورة وبدأت في قطع الجريد وفجأة اختفت فلم يجدوا لها أثر"<sup>4</sup> وبالرغم من بحثهم المستمر إلا أنها اختفت عن الأنظار. ومن بعدها استسلم الحساني للأمر، وذلك بعدما أصبح اسمه شؤما على كل فتاة يتقدم لخطبتها.

بعدها يعود بنا إلى مغامراته التي انتهت مع محمد لمين وبدأت مع شخصية جديدة الصالح الوزاني، بعدما عرض عليه هو الثاني مرافقته في عودته إلى وهران التي بدورها كانت مكان التقاء الشخصية الرئيسية بعدة شخصيات أخرى فيقول: "عرض علي الصالح الوزاني المرافقة في عودته إلى وهران، وهل يتردد سائح مثلي شعاره قل (سيروا في الأرض) في عرض كهذا والتسيير موجود"<sup>5</sup> ومن ضمن هذه الشخصيات "مصباح" الذي كان دليل

<sup>1</sup> - الرواية، ص 166.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 170.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 175.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 182.

<sup>5</sup> - الرواية، ص 193.

وعارف بكل زاوية من زواياها يقول السارد: "في الصباح عرفني بابن عمه "مصباح"، وهو اسم على مسمى، مصباح وهران ودليلها العارف بكل زاوية من زواياها"<sup>1</sup> فعرفه على كل ما لم يعرفه في زيارته الأولى، كما أخذه إلى العديد من الأماكن نذكر منها: ميناء وهران وواجهة البحر الساحرة، هضبة مرجاجو المطلّة على الساحل، قلعة سانت كروز، متحف وهران، وأخرها اوبيرا وهران التي كان يزورها مرارا، وبعد زيارته الكثيرة تعرف على سيرافيا الراقصة في فرقة متخصصة في الفلامينكو والتي طلبت منه الصعود للمنصة ومدت له يدها مصافحة، فيقول: "صافحتها بأناقة، للوهلة الأولى ظننت إنني افهم الإسبانية، لكنني وقفت أمامها صامتا، كادت أن تفهم أنني أبكم لولا أن بادرتها بالتحية، الكلمة الجديدة في معجمي الإسباني، وهي كل بضاعتي فيها، ومن حضي أنها تعرف الفرنسية، تواصلنا".<sup>2</sup>

وتتواصل الأحداث بدعوة سيرافيا الحساني لزيارتها بغرناطة وذلك بعد إعطائها ضرف الدعوة له فيقول: "بعد الخروج من دار الأوبرا فتحت الضرف ليتولى مصباح ترجمة ما في الضرف ليفاجئني بأنها دعوة من جمعية فلامينكو غرناطة لحضور مهرجان هذا الصيف"<sup>3</sup> ومن هنا بدأت رحلته الجديدة متوجها إلى إسبانيا، يقول: "رحلتي مخطط لها مسبقا ستكون من مقر عملي بميناء وهران باتجاه "الميريا" ومنها أجد شخصا يحولني إلى محطة القطار لأركبه باتجاه غرناطة"<sup>4</sup> فور وصوله ووجد سيرافيا تنتظره باستقبال حار، يقول: "وجدت سيرافيا في محطة غرناطة تنتظرني، تم الاستقبال بحرارة وشوق كبيرين"<sup>5</sup> تبادل أطراف الحديث مع القيام بالعديد من الجولات وفي كل واحدة كانا يكتشفان بعضهما البعض أكثر، حتى توصل بهما الأمر إلى التفاهم والزواج وذلك بعد اطلاعهم على المخطط، يقول:

<sup>1</sup> - الرواية، ص 189.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 207.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 219.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 222.

<sup>5</sup> - الرواية، ص 223.

"مسكت الخاتم باليمين وأبسته لها كخطيبة"<sup>1</sup> بعدها شرع بالعمل مع في المقهى. كانا في غاية التفاهم والمحبة إلا أن أتاهم ابنهم جابر الذي زرع العلاقة بمرضه، يقول: "وبمرور العام الرابع لاحظنا أن ابنا تظهر عليه إمارات التخلف الذهني"<sup>2</sup>. التي عجز الأطباء في إسبانيا تشخيص مرضه فاقترحوا عليهما أخذه إلى مستشفى (باستور) في فرنسا، وهناك التقى بالصدفة مع الزميلان السابقان "باستيان" و"ميشيل" واكتشف على أنهم كلهم مرضى، وهنا زاد توتر سيرافيا فطلبت الطلاق من الحساني بعد معاتبته هو وبلاده على انه هو السبب في مرض ابنها.

وبعد تأزم حياة الحساني مع زوجته، قرر المكوث في فرنسا والاستراحة قليلا مما عاشه. فقام بالاتصال "بميشل" و"باستيان" للقدوم إلى مطعم "حي لاشوم"، تقابلا هو وميشيل بعد استئذان باستيان فيقول: "هاتفنا باستيان وميشيل للقاء بعد يومين في مدينة فنوديه، اعتذر باستيان على الحضور"<sup>3</sup> وحين وصولهم تصادفوا مع الصديق "دولاكروا" ويا للمفاجأة حين أخبرهما عن تواجد صديق العمر "السباعي" مع نادين بقوله: "صديقك السباعي هو هنا مع نادين، وسنتناول الغداء معا"<sup>4</sup>. اجتمعوا الأصدقاء مرة أخرى يتحكون ماضيهم مع إعادة ذكرياتهم الحلوة والمرّة، وذكر كل ما مر عليهم إلى يومهم ذاك.

استخدم عبد الله كروم شخصية الحساني البارزة في الرواية باعتبارها محرك الأحداث، إذ هي الفاعل المحرك لجل الأحداث، وقد حاول جعلها شخصية مسالمة بين كل تلك الحروب وتحاول البحث عن السلام وإشاعته بين الناس في كل مكان، إذ لم تكن مهمة سهلة في ضوء العنف المنتشر مع الاستعمار الفرنسي والتفجيرات وأثار الدمار التي لا زالت تظهر في نفوس وأجساد أولاد الوطن وحتى المجندين الفرنسيين، ومن خلال ما عرضناه من علاقة

<sup>1</sup> - الرواية، ص 230.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 236.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 243.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 244.

الحساني بالشخصيات، فإن هناك عدة طرق تم التعرف بينها، فبعضها ارتبط بالمكان الأصلي وهو مكان الولادة فكانت بعض الشخصيات مرتبطة بالمكان، ولذلك كان التعرف طبيعياً تلقائياً، بحكم الانتماء للمكان، في حين نجد التعرف بينه وبين سيرافيا الشخصية الغربية جاء صدفة أثناء نزهته في وهران لتتطور العلاقة فتصبح حميمية، وهنا يظهر تعارفهما كمثال بارز على تداخل الشخصيات مع المكان وتأثيره في بناء العلاقات، فيمكن القول أن المكان أكثر من مجرد سياق جغرافي، بل هو عنصر حيوي يشكل العلاقات الإنسانية ويسهم في تطويرها. فالانتقال في المكان يؤدي إلى وجود شخصيات يتم التعرف معها بالصدفة أو عبر شخصيات أخرى.

المبحث الثاني: دور المكان في مواصفات الشخصيات

رواية غرنة متاهة زقاق الظلمة لا تعرض تفاصيل التفجيرات فحسب، بل تفتح حديثا عن المصائر المرتبطة بشخصياتها ممثلة في "السباعي ولد نجوم"، و"الحساني ولد مولاي الشريف"، وعلى الطبيب "دولاكروا" الذي عكف على كتابة مذكراته تحت عنوان " مذكرات طبيب في الواحات"... وقد اعتمد في الرواية على مجموعة من المحاور في تصنيف وتمييز كل من شخصياته الروائية أو البعض منها، وقد جعلها أربعة وهي: الجنس، الأصل، الإيديولوجية المهنة. وهذا الجدول يوضحها:

الشخصية	الجنس	الأصل	مكان اللقاء	الايديولوجية	المهنة
الحساني	ذكر	جزائري	قصة المأمون	مسلم	/
السباعي	ذكر	جزائري	قصة المأمون	مسلم	/
دولاكروا	ذكر	فرنسي	رقان	يهودي	طبيب
محمد لمين	ذكر	جزائري	الصحراء	مسلم	خبير وعارف الصحراء
باستيان	ذكر	فرنسي	رقان	يهودي	/
بازا	ذكر	جزائري	قصة المأمون	مسلم	بطل
الصادقي	ذكر	جزائري	قصة المأمون	مسلم	شيخ
أحمد القط	ذكر	جزائري	قصة المأمون	مسلم	عميل

ضابط	يهودي	رقان	فرنسي	ذكر	أليري
دليل وعارف	مسلم	وهران	جزائري	ذكر	مصباح
راقصة	مسيحية	وهران	إسبانية	أنثى	سيرافيا
ربة بيت	بوذية	الصين	صينية	أنثى	سو
ربة بيت	مسلمة	قصبة المأمون	جزائرية	أنثى	خلاصهم
ربة بيت	مسلمة	قصبة المأمون	جزائرية	أنثى	الخادم
ربة بيت	مسلمة	قصبة المأمون	جزائرية	أنثى	الصادقية
/	مسيحية	فرنسا	فرنسية	أنثى	نادين
ربة بيت	مسلمة	قصبة المأمون	جزائرية	أنثى	حدهم
/	مسلم	قصبة المأمون	جزائري	ذكر	الغيواني
ربة بيت	مسلمة	الصحراء (حاسي الناقة)	جزائرية	أنثى	يسلم بوها
ربة بيت	مسلمة	الصحراء (ال المحبوس)	جزائرية	أنثى	الواعة

قائد أحد أعضاء الجبهة الجنوبية	/	قصبة المأمون	جزائري	ذكر	حمادي أقاسم
رائد	مسيحي	رقان	فرنسي	ذكر	ديبوسي
عميل	مسلم		جزائري	ذكر	أحميدة
ضابط	مسيحي	رقان	فرنسي	ذكر	ديفيد جونسون
معلم قران	مسلم	قصبة المأمون	جزائري	ذكر	الطالب قلوب
/	مسيحي	رقان	فرنسي	ذكر	ميشيل

واللافت للنظر في هذا الجدول فيما يخص الشخصية، هو طغيان الأسماء الذكورية على الأنثوية، وذلك راجع للموضوع المدروس الذي يتطلب القوة والسرعة والصلابة. كما قام أيضا الكاتب بالتنوع والمزج بين شخصياته من أسماء عربية إسلامية، وأخرى يهودية أمثال: ديبوسي، أليري، سيرافيا.. وهذا تماشيا مع موضوع الرواية الذي كان عن الاحتلال الفرنسي في الصحراء وبالأخص في منطقة "رقان". وهذا التنوع في الأصل الجغرافي نتج عنه تنوع في الثقافة الأيديولوجية والواضح أن هناك اختلافا في أيديولوجية كل واحد منها.

وبالرغم من أن الشخصية الرئيسية بمثابة محرك لأحداث النص، إلا أن الأمر لا يتم إلا بمساعدة شخصيات ثانوية، نذكر منها: السباعي، الواعرة، سيرافيا، مصباح... وتعرف هذه الشخصيات على أنها تحمل أدوارا قليلة مقارنة بالرائسية إلا أنها تضيء الجوانب الخفية

للشخصية الرئيسية.<sup>1</sup> وبالحديث عن الشخصية الرئيسية، نجد في روايتنا المدروسة تجسيد للعلاقة بين المكان والشخصية، وذلك من خلال الراوي الذي لعب دور شخصية "الحساني ولد مولاي الشريف" الشاب الجزائري الذي عاش فترة الاستعمار الفرنسي في رقان، حيث تكفل في الرواية بإيصال الأحداث التي سادت في تلك الفترة مع وصفه لحالة المدينة وتغييراتها مع هلع وخوف سكانها، والمأساة والآلام التي لا تزال محفورة حتى بعد مرور الوقت. وقد كانت الشخصية الفعالة داخل الرواية، إذ ابتداءً بها وإليها انتهى. كما تعتبر أنها شخصية نامية

تتغير وتتأزم حياتها مع تغير الأحداث. وقد تعرفنا عليها بقوله: "وجدتني -أنا الحساني ولد مولاي الشريف- متورطاً لأفتح نوافذ الأيام، أيام منحتي وشقائي.."<sup>2</sup>. وكما قام الروائي بالحرص على اختيار المكان الملائم لبداية الأحداث، فوظف "قصة المأمون" التي تعد مكان ولادة وعيش الحساني ومكان للذكريات الطفولية الجميلة. ففي الأول كانت الشخصية في حالة اتصال معها قبل بداية الأحداث التي أدت إلى الانفصال، أي قبل انقلاب حياتها وتحولها إلى مأساة وحزن دائم، فالمكان لا يحمل فقط ذكريات سعيدة بل يحمل ذكريات مريرة قد يكون وقعها على نفسية الإنسان أكثر من السعيدة كما كان الحال مع الحساني الذي تحولت كل ذكرياته إلى التعيسة وامتلاء قلبه بالسواد الذي يصعب إزالته، وذلك من يوم إيقاف حفلته مع قتل خطيبته، ومن بعدها تأتي الأحداث متسلسلة إذ لا يكون ممكناً للشخصية الرئيسية إلا بانتقالها من الفضاء الأول إلى عدة فضاءات أخرى (رقان، وهران، غرناطة). ومنه قد عمد الروائي على توظيف "رقان" كمكان رئيسي انتقل إليه الحساني، وفيه وقعت جل الأحداث، فالمكان هنا يعبر عن انتقال الشخصية من سعة المكان إلى ضيقها، فبعدما كان يعيش حياته بكل أريحية، انقلبت إلى خوف دائم من المصير

<sup>1</sup> - صبيحة عودة زعرب، ليسان كنفاي: جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، عما، الأردن، 2006

ص132.

<sup>2</sup> - الرواية، ص18.

المجهول المنتظر وذلك نتيجة الانفجارات التي كانت تقام في المنطقة مع قتل دائم ورؤيته للأسلحة والموتى يومياً، يقول: "كلما حاولت أن أغضض عيني يأتيني كابوس، ثم أستسلم لغلبة النعاس، لأستيقظ على صرخات الجنود في الخيام الأخرى جلبة آلات ومركبات، هذر ليلي ينتهي بهيستيريا من الصراخ مثقل بالتعب أنا ومرهق بالتعب أيضاً، ولي رغبة كبيرة في النوم غير أن حالة الهلع أطارته، وحلق الأرق في السماء الثامنة وبسط الخوف جناحيه ولم تشأ طائرة النوم أن تحط في مطار عيني.<sup>1</sup> وصف الحالة التي كان يمر بها بعد كل تفجير، كما كان يصف حالة الناس هم الآخرون وخوفهم فيقول: "(القيامة قامت) حدث الناس وقالوا في توات، متوالية على كل لسان، وكلما وصفوا لحظة التفجير حضرت هذه الجملة التي تلخص المشهد بما معنى(نهاية الدنيا). أينما ذهبت وجدت الهلع والقلق والخوف وضغط الدم في نفوس الساكنة كلها.<sup>2</sup> حالة الذعر التي واجهوها أهل الصحراء. ومنها يبدأ التغيير وتأتي الأحداث متسلسلة ومأساوية يوم بعد يوم بفقدان أمه وحمارة أثناء التفجيرات المقامة في رقان، ومع فقدانه الأمل في الزواج، وكل هذا أدى به إلى اتخاذ القرار في الهروب من الواقع المعاش مع عدم الالتفات للوراء، وكانت الوجهة الأولى وهران وذلك بعد عرض الصالح الوزاني.

وقد قام عبد الله كروم بتقديم أغلب الشخصيات بنفسه مع وصف للبعض منها، حيث قمنا بالتعرف عموماً على هوية كل واحد وذلك عن طريق السارد "الذي يروي لنا بضمير الأنا عما عاشه وعن الشخصيات التي مر بها أو عاش معها.<sup>3</sup> فقبل كل شيء قام بالتعريف عن نفسه بعدها تطرق إلى "السباعي" صديق العمر والذي عاد من فيتنام رفقة زوجته "سو" وولده "الشينوي" كما يلقبونه سكان المنطقة. وقد تعمد اختيار اسم "السباعي"

<sup>1</sup> - الرواية، ص 71.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 74.

<sup>3</sup> - ينظر: أمينة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2015، ص

وذلك لكونه يحمل دلالات ومعاني تنطبق على الشخصية في ظل ما كانت تعيشه، فاسمه يدل على الشجاعة والقوة، حيث كان عليه التحلي بهما في ضوء ما كان سائد من دمار، وحرب، وتجنيد وتفجيرات... بعدها راح مباشرة إلى تقديم "ميشيل" الذي جاء لرقان من أجل واجب الخدمة العسكرية، فيقوم بعملية السرد والوصف معا، وذلك عندما صادفه في رقان وبالتحديد في الورشات المفتوحة. فحاول أن يعطي لنا وصفا ولو لم يكن دقيقا عنه، فيقول: "انتصب "ميشيل" شخصا لطيفا وهادئا، نحيف الجسم، باسم الثغر، وهو لم يكن جنديا متعاقدا في الجيش الفرنسي، وإنما جاء لرقان لتأدية واجب الخدمة العسكرية، وهو جامعي متخرج في تخصص البيطرة.<sup>1</sup> وصف بعض ملامح الشخصية.

كما قام أيضا بتقديم "محمد لمين" الذي يدل اسمه على الثقة، والصدق، والوفاء والإخلاص: فيعرفه على النحو الآتي: "محمد لمين" خبير الصحراء، العارف بحظيرة حيواناتها وأطلس نباتاتها، وخریت طرقها وشعابها، عادة ما يسير في طرق غير رسمية ويكثر من السفر ليلا؛ لأنه من العارفين بالنجوم والمهتدين بها.<sup>2</sup> وصف الشخصية بانها عارفة لكل خبايا الصحراء.

وكما تطرق أيضا إلى وصف شخصية "الواعرة" التي قام بزيارتها مع "محمد لمين" في "ال المحبوس" فيقول: "الواعرة بنت المحبوس استضافتنا، وهي فتاة في ريعان شبابه؛ قد غطت الملحفة كل جسدها، وبرزت شفتاها مدعوكة بالمسواك مع خصلات من شعرها تحت غطاء الرأس، تمشي متراكمة كبرميل يتدحرج، ثقيلة المشي من شدة البدانة، ابتسامه ناصعة مفلجة تورق الكروم في صيف الصحراء، ووجه أبيض يضيء ليل الحلة كست تلك الابتسامه الوجه الممتلئ.<sup>3</sup> الوصف الدقيق المقدم للواعرة بنت المحبوس.

<sup>1</sup> - الرواية، ص 49.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 138.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 164.

وفي بعض الأحيان يكون التعريف عن طريق شخصية أخرى غير السارد، وذلك يظهر في: تعريف البدوي لـ "سيدي هدارة" فيقول: "سيدي هدارة" رجل نقي، صاف، يكره الفتن والحروب التي كانت سببا في حرمانه من أمه، ويحب الخير والسلام والعدالة والاستقرار وكان إذا اندلعت حرب بين القبائل يفر إلى العيش ثانياً مع النعام إدراكاً منه أن ذلك المجتمع خال من الحقد والكره وإيذاء البشر.". والملاحظ أن للصحراء صفات تميز أهلها ولا توجد لدى الشخصيات الأخرى.

وفي الرواية، يتناول الكاتب موضوع التعارف بين الشخصيات من زوايا متعددة تعكس تعقيدات العلاقات الاجتماعية والإنسانية، فيعد المكان أداة للمعرفة والتفاهم العميق بين الشخصيات، فيتتبع التعارف ليشمل جوانب عدة، بدءاً من العلاقات التقليدية التي تنشأ من الروابط القبلية، وصولاً إلى العلاقات التي تتشكل تحت ضغط الأزمات والكوارث، والتي تمثلت في الرواية بالتفجيرات المميتة في رقان، ففي ظل الظروف الصعبة يتعرف الناس على بعضهم البعض، وتؤثر على صفاتهم وعلاقاتهم، فهذه الأزمات تكون مبنية على الاحتياجات المتبادلة والروائي مثل هذا النوع من التعارف بالشخصيتين ميشيل والحساني اللذين تعرفا في ظل ما كان يسود في الصحراء من طرف المحتل الذي زرع الخوف في نفوس الشعب.

إن هذه المواصفات التي ارتبطت بالشخصيات لها علاقة وطيدة بطبيعة المكان الذي تنتمي إليه، والملاحظ أن الصحراء استطاعت كمكان أن تجمع العديد من الشخصيات التي تختلف من حيث الأصل الجغرافي، من ديانة ولغة، وهذا الاختلاف هو الذي أنتج علاقات عاطفية بينها سلبيًا وإيجابيًا هو الذي أفرز عن وجود ما يسمى بالشخصيات المجازية.

هذا النوع من الشخصيات لا تعد حقيقية إنما هي شخصيات محسوسة مرتبطة بالشعور وتقوم الشخصية هنا بإنجاز أفعال أو تعبير عن رغبة، أو التظاهر بأمر ما وهي تبطن أمر

آخر وينبثق من وراء ذلك كله معنى الشخصية وعلاميتها.<sup>1</sup> حيث تكون إما إيجابية أو سلبية.

والجدول الآتي يوضحها:

الحساني، سيرافيا السباعي، سو محمد لمين، الواعرة	الحب
الحساني السباعي	القوة والشجاعة
أليري	العنف
الحساني الحساني	الكره السلام
الحساني، السباعي، أهل الصحراء	الحزن، الألم، اليأس

استنادا إلى أهم الشخصيات المجازية الموجودة داخل الرواية نجدها تتنوع بين السلبي والإيجابي كانت السلبية التي أثرت في نفسية الشخصيات، وتظهر خاصة عند الحساني المتأثرة بسبب الاستعمار الذي احتل البلاد وترك أثر عميقا في نفسية الشعوب بزرع الخوف والهلع.

عبر عنه بزقاق الظلمة في قوله: "في زقاق الظلمة الطويل أتلمس مسلكي، الظلام الدامس يتسلطن. لا نور في أفقه لحد اليأس، يستوي فيه الليل، والنهار والفصول الأربعة على مدار

<sup>1</sup>- حرشاوي كاميلية، بنية الشخصية في قصص السعيد بوطاجين؛ دراسة تطبيقية لمقارنة فيليب هامون، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم والإنسان، جامعة الجزائر، 2000، ص40.

العام.<sup>1</sup> كما يضيف الراوي ملمحا نفسيا آخر للشخصية والذي يتمثل في الحزن والألم وذلك بعد موت الأحبة وخاصة أمه وحمارة.

وبذلك يتشكل في داخله كره وحقد لا يوصف تجاه المستعمر الذي أنهك بلاده وحرمه من أقرب الأشخاص إلى قلبه ومن حريته ووطنه، ورغم كل هذا إلا أنه امتلك القوة للصمود أمام المحتل بمرافعته عن الحق في العيش بكرامة في ظل عالم تحكمه القوة. ونعرف أن الشخصيات المجازية لا تقتصر فقط على العنف والخوف المرتبطة بحالة الشخصيات وتأثير المكان عليها وخاصة بعد العنف والإجرام الممارس عليه إثر التجارب النووية، وإنما تجد شخصية "الحب" الذي: يقوم بدور الرابط ذي الطبيعة الإنسانية والفنية، فعلى الجانب الإنساني كان للحب الدور الفعال في تشكيل الوعي ولولا الحب لما كانت الرواية.<sup>2</sup> وتتجلى هذه الظاهرة في الرواية من خلال حب الحساني "للخادم وحدهم" ثم تعرف الحساني على "سيرافيا في معرض الأوبرا" ب"وهران" فتزوجها، ويظهر في قوله: "وتتألم بيننا الحب وهل رأى الحب عناقا مثلنا."<sup>3</sup> فبالرغم مما كان يعيشه الحساني من ظروف قاسية إلا أنه وجد مكانا لنفسه للعيش بسلام، وهو قلب سيرافيا، فالحياة "لا تخلو من الحب بوصفه مقوما من مقوماتها يقوم بدور المنظم لأمرها."<sup>4</sup> بمعنى أنه لا حياة دون حب. كما أخذ الروائي شخصية الحساني وجعلها شخصية مسالمة تبحث عن السلام وإشاعته بين الناس في كل أنحاء العالم، وذلك بالسفر وقيامها بالعديد من الرحلات، وكل ذلك من أجل السلام في العالم. إذ تظهر الشخصية الحيوانية المتمثلة في الطائر غرنوة الذي جعله عنوانا للرواية كرمز للسلام ذلك أن الطيور تلهم البشر وتحفزهم على التطلع صوب الأعلى. وتعتبر غرنوة

<sup>1</sup> - الرواية، ص 18.

<sup>2</sup> - مصطفى الضبع، الحب وتجلياته في الرواية العربية، قراءة أولية في نماذج مختارة، دار العلوم، جامعة القيوم، مصر، ص 8.

<sup>3</sup> - الرواية، ص 231.

<sup>4</sup> - مصطفى الضبع، الحب وتجلياته في الرواية العربية، قراءة أولية في نماذج مختارة، ص 1.

مرشدا للحساني له، وتظهر العلاقة بينهما في قوله: "إن رؤية الحمام تحمل معها البشائر، والنزول على الكتف على الترقية والنزول على الراحة يدل على كسب أموال طائلة في المستقبل والحمام رمز السلام." وبما أنه جعل "غرنوة" عنوان الرواية فهو يتسلط عليها ويعتبر البطل الأول الذي كان يعتمد عليه الحساني في نشره للسلام وخاصة بعد مقتل تزيق الحمار الذي كان يعتبره رجله الذي يتكى عليه، حيث تم ترحيله إلى "رقان" وزج إلى حضيرة الحيوانات، يقول: "أخذه هو إلى حضيرة مخصصة للحيوانات بينما جرجرت للتحقيق في مكتب متهالك القاعد."<sup>1</sup> وقد كان آخر يوم لهما وذلك بموت "تزيقا" كونه راح ضحية التجارب النووية. وهنا نلاحظ أن الشخصيات كلها ارتبطت بالمكان وما يحدث فيه حتى الشخصيات المجازية والحيوانية، فإنها تتلون بما يحدث من آثار إيجابية وسلبية في المكان.

---

<sup>1</sup> - الرواية، ص 43.

## المبحث الثالث: علاقة المكان بزمن السرد

## 1- المكان ودوره في إبطاء السرد:

إن المشهد والوصف "تقنيتان تبطنان السرد"<sup>1</sup> إذ تقومان على الإبطاء المفرط لحركة السرد

فالمشهد يقوم "على الحوار المعبر عنه لغويا والموزع إلى ردود متناوبة كما هو مألوف في النصوص الدرامية، وقد لا يلجأ الكاتب إلى تعديل كلام الشخصية المتحدثة فلا يضيف عليه أية صبغة أدبية أو فنية، وإنما يتركه على صورته الشفوية الخاصة به."<sup>2</sup> فالراوي هنا ليس مجبرا على تغيير أية كلمة من قول المتكلم.

أما عن الوصف فهو "التقنية الزمنية الأخرى إلى جانب المشهد التي يعمل على الإبطاء المفرط لحركة السرد في بنية الرواية التقليدية."<sup>3</sup> إن كلاهما يعمل نفس العمل الذي هو تبطئي الحركة السردية.

فالمشهد يكون مع المواضيع التي يتوارى فيها السارد ليترك فيه الشخصية الحرة في الكلام ونجد في رواية غرنوة، يجري الحديث بين تاجر المقايضة والحساني وذلك عند إرادة هذا الأخير بيع كل ما يملك في قسبة المأمون والتوجه إلى مسار جديد، فيقول: "في الطريق لبيتنا وجدت أحد تجار المقايضة ودون مقدمات طرحت عليه مسالة شراء بيتي الوحيد في القرية.

-هل أنت مجنون؟ هل تركت عقلك في حموديا.

-لا يا سيدي هو معي هنا في قسبة المأمون وسيصحبني أنى اتجهت.

<sup>1</sup> - مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 249.

<sup>2</sup> - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 166.

<sup>3</sup> - آمنة يوسف، تقنية السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2015، ص 132.

-بكم تبيعه؟ خمسين ألف فرنك.

-منحها لي على السريع، تواعدنا على المكاتبة عصرا عند الطالب قلوش.<sup>1</sup> إن هذا المشهد يقدم لنا رغبة الحساني في ترك كل شيء متعلق بماضيه المؤلم وراءه. وفي حوار آخر بين "الغيواني" و"الحناني" أثناء عملهم في البساتين كالعادة - (كيف ترى الدنيا أخي "الغيواني"؟) بلامح التأمل والباحث عن معنى عميق سألته. -الدنيا ظل لا يستقر، أو ضيف لا يقيم، أو سوف لا يدوم باختصار (بنت أحرام) قلابة.<sup>2</sup>

وبواصلان حديثهم عن "حدهم" وذلك بسؤال الحساني للغيواني، فيقول:

-من هذه البنت التي تحمل على رأسها قفة مملوءة بالحشائش يا الغيواني؟.

- (الوجه قمر والمشي عسل) علق الغيواني.

-وجدت دواء الطنين، هناك سر يجذبني إلى هذه الكتلة الجمالية، الجمال سر من أسرار الأرواح.

-ماذا أقول لك (خويا) الحساني: (نحن في منزلة سعد الخيبة الذي تتحرك فيه كل حية). واصل حديثه (أما أنا فلن أتزوج القمر ولا الشمس ولا النجمة القطبية ولا عنة بنت إبليس) ضحكنا.<sup>3</sup>

ان الروائي في بعض الأحيان يلجا إلى وصف مكان، فيروي أحداث العمل السردي ليجعلنا "نقف على الصورة الطبوغرافية للمكان والتي تخبرنا عن مظهره الخارجي".<sup>4</sup> استخدامه للوصف لإبراز مفاتن المكان.

<sup>1</sup>- الرواية، ص 121.

<sup>2</sup>- الرواية، ص 105.

<sup>3</sup>- الرواية، ص 105.

<sup>4</sup>-حسن بحرأوي، بنية الشكل الروائي، ص 60.

فبهذا فإن الوقفة الوصفية تعد من أهم عناصر إبراز المكان، وذلك لأنها تقوم على إبراز "كل الخصائص الإدراكية للمكان لتحوّله إلى موضوع الخطاب، فهذا الخطاب الذي سيقوم بتصوير هذا المكون السردي لغويا، ليتحول إلى فضاء مرئي معلوم الحدود والمعالم، ووقفة استراتيجية سردية معينة".<sup>1</sup> وقد تجسدت جمالية المكان في رواية "غرنوة" من خلال وصف الروائي لـ"رقان" بعد تحولها من طرف الاستعمار، فيقول: "تغيرت "رقان" بشكل تجاوز عهدها السابق حين زارها السباعي منذ عشرة سنين، بل أصبحت باريس المصغرة حسب وصف القادمين منها، مدت الطرق المعبدة، وأشعلت فيها الأنوار، وبنيت فيها العديد من المرافق الحيوية على، غرار مستشفيات متعددة، وسوق، ومبان، وطرق.."<sup>2</sup> فيعتبر مكانا مفتوحا فيه حدثت جل الأحداث.

من خلال المكان نستطيع استنتاج الملامح الخارجية والداخلية للشخصية وذلك عن طريق الوصف، الذي يعد "أسلوب تقديم كل من الشخصية والمكان".<sup>3</sup> ويقصد بالملامح الخارجية، ذكر صفات أو شكل الشخصية الروائية، وقد قام عبد الله كروم في روايته غرنوة بوصف الواعرة مع إظهار ملامحها الخارجية في قوله: "الواعرة بنت المحبوس استضافتنا، وهي فتاة في رعيان شبابها، قد غطت الملحفة كل جسدها، وبرزت شفتاها مدعوكة بالمسواك مع خصلات من شعرها تحت غطاء الرأس، تمشي متراكمة كبرميل يتدحرج، ثقيلة المشي من شدة البدانة ابتساما ناصعة مفلجة تورق الكروم في صيف الصحراء، وجه أبيض يضيء ليل الحلة".<sup>4</sup>

إن تعدد الأمكنة في الرواية أدى إلى حضور كثيف لوصف الشخصيات، كونه مساعدا في التعبير عن الأمكنة، وفي رواية غرنوة يظهر هذا النوع من الوصف أثناء سفر الحساني

<sup>1</sup> - لونيس بن علي، الفضاء السردي في رواية الجزائر، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، 2015، ص32.

<sup>2</sup> - الرواية، ص47.

<sup>3</sup> - عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 153.

<sup>4</sup> - الرواية، ص 164.

إلى **وهران الباهية**، فيقول: "الباهية تتجلى لناظرها، مبانيها العتيقة تتشاهق والمعالم الأثرية التي تدل على تعاقب الحضارات وتعدد الثقافات تتمرأى، وعدت إلى مدينة بدأت تظهر مفااتها، أرصفة مسفلتة، شوارع منظمة، ميناء يضخ بالحركة، وأسواق مكتظة، وعمارات شاهقة.<sup>1</sup>"

وكما قام أيضا بوصف **رقان** التي تغيرت على غرار السنوات الماضية، يقول: "تغيرت رقان بشكل تجاوز عهدها السابق عندما زارها السباعي قبل عشر سنين، بل أصبحت باريس المصغرة حسب وصف القادمين منها، مدت فيها الطرق المبعدة، وأشعلت فيها الأنوار وبنيت فيها العديد من المرافق الحيوية، على غرار مستشفيات متعددة، وسوق، ومبان.<sup>2</sup>"

ولذلك أخذ وصف الطبيعة في الرواية حيزا لا بأس به من التوظيف، ومن وصف الطبيعة الحاضرة في الرواية ما يأتي "شمس حارقة تلهب أجسادنا في يوم آخر، هواء (أريفي) الساخن المرمل يلفح وجوهنا، والسيارة تقطع أرضا طلحت أشجارها، في أحايين كثيرة تصفعنا على وافي الصدمات أغصان الطلح، وتركنا على مؤخرة السيارة أغصان السدر، تتراقص نباتات (الشبرك) و(أم لبينة) الشوكيتين.<sup>3</sup>"

وإن أغلب الحالات التي جاء فيها وصف الطبيعة كانت توحى بالحركية، وذلك لاقتربها بالأمكنة. لأن المكان يرتبط ارتباطا وثيقا بالعناصر الروائية الأخرى.

## 2- المكان في سرد مذكرات الآخر

لئن ارتبط وصف المكان بالشخصية الساردة الذي هو ابن الصحراء فجاءت أغلب الأوصاف من خلال هذه الشخصية التي عرفتنا بالأماكن، فإن السرد تم تقاسمه مع شخصية الطبيب الذي تناوب مع الحساني السرد من خلال مذكراتها عن الصحراء، والتي سماها

<sup>1</sup>- الرواية، ص 197.

<sup>2</sup>- الرواية، ص 47.

<sup>3</sup>- الرواية، ص 145.

طبيب في الواحات بما توحيه كلمة الواحات من بعد على الصحراء التي ليست فقط الرمال والحرارة بل الخضرة والمياه.

فقد عكف الطبيب على كتابة مذكراته التي بدورها كانت تدور حول رقان، حيث كان يقوم بتسجيل كل الأحداث في المنطقة. ففيها لخص كل مغامراته التي عاشها في المنطقة وعن كل ما مر به سواء كانت أحداث سعيدة أو حزينة، وذلك بعد قدومه إليها كمجنّد ضمن صفوف الاستعمار الفرنسي الذي سبب الدمار الشامل في الجزائر وخاصة منطقة رقان. يقول: "جئت إلى "رقان" مجنّداً في صفوف الجيش الفرنسي، وبعد انتهاء فترة الخدمة العسكرية فضلت البقاء في المنطقة منتسباً لمشفى رقان.<sup>1</sup> فضل البقاء على عدم العودة وذلك لسخاء أهل الصحراء.

الطبيب في مذكراته بالحديث عن كيفية انخراطه مع الأهالي في توات وخاصة الحساني وصديقه السباعي، كما ذكر أيضاً حبه لطريقة عيشهم البسيطة ومحبتهم لغيرهم، كما وصف البسمة التي لا تفارق وجوههم بالرغم من كل المصائب فوق رؤوسهم، فمع كل ما يمر عليهم إلا أنهم محبون للحياة و متمسكون بعاداتهم، كما أشار إلى أنهم يعيشون بممارسة الأنشطة العديدة مثل الفلاحة التقليدية المسقية وفق نظام "الفقارات"، كما يظهرون أيضاً تمسكهم بأرضهم، ومع كل هذا فهم لا يهتمون بالفن والفرح فهم أهل طرب ورقص. وهذا ما أثار إعجاب الشخصية للمنطقة.

كما قام أيضاً بذكر ووصف بعض من العادات التي كان شاهداً لها والتي تتمثل في مزارات الأولياء الصالحين، وانبهاره بالرقص المؤدى الذي كان قد استصعبه. كما ذكر رقصة الحضرة التي كان يجد توازنه فيها رغم عدم فهمه للمفوضات المصاحبة لها والتي يصفها على النحو الآتي: "صفان متوازيان من الرجال الصوفيين، ينضرون إلى بعضهم....."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - الرواية، ص 32.

<sup>2</sup> - الرواية، ص 131.

كما ذكر أيضا عدة رقصات أخرى مثل رقصة "القرقابو" و"البارود" التي تقام في واحات "توات" على النحو التالي: "تبتدئ الرقصة بخط مستقيم....." وصفه لكيفية أداء الرقصة. ومن جهة أخرى قام "جوزيف دولاكروا" بذكر الجانب المظلم الذي حل بمنطقة "توات" من تجارب نووية، إذ أصبحت أرضا للخراب ومقبرة للنفايات، مع انتشار السموم في هوائها، ومائها ورضها. وكان بعد كل عملية انفجار يقوم بزيارة سكان "رقان" مع بعض الأدوية لمعالجة ما يستطيع، مع ذكر الأضرار التي تلحق المنطقة مع كل تفجير، يقول: "قصة المأمون: وفاة مسنة أم المجند الحساني، هلع وخوف وارتفاع الضغط الدموي، احمرار العيون، ضيق التنفس." كما قام بوصف حالة الشعب مع الأمراض السائدة آنذاك من قمل وقوب وجرب. فيقول: "أمراض ثلاثة فتكت بأبناء هذه المنطقة النائبة، وأنا شاهد على عار سيذكره التاريخ، العلاج والتدخل حصل لكنه بمستوى محدود، وأضن أننا سنخرج من الجغرافيا ونترك هذه الأمراض."<sup>1</sup> استصعب علاج الأمراض بسبب غياب الشروط الصحية. وفي الأخير قام بعرض للنتائج الوخيمة التي سيبصا بها الفرنسي والجزائري على حد سواء.

نستنتج من خلال ما سبق أن العلاقة بين العناصر الروائية متشابكة جدا والحديث عن الشخصيات في علاقتها بالمكان تعني علاقتها أيضا بالأحداث التي تجري فكل حدث يحدث في المكان وتقوم به الشخصية وينعكس على صفاتها وعلاقتها ببقية الشخصيات، وهو ما لاحظناه في علاقة الشخصيات بالأمكنة التي انتقلت إليه، فمع كل حدث يحدث في المكان تنشأ عاطفة مختلفة، وتؤثر أيضا على سير الأحداث وعلى بنية الرواية وعناصر السرد الأخرى وخاصة الحوارات والوصف وهو ما أشرنا إليه في نهاية هذا الفصل، ويبقى المكان هو الحيز الذي تلتئم من خلاله كل مجريات السرد، ولذلك كانت رواية "غرنوة" رواية المكان بامتياز.

<sup>1</sup> - الرواية، ص 115.

خاتمة

نختم هذا البحث بأهم النتائج والملاحظات التي توصلت إليها:

-إن رواية "غرنوة" رواية مكان بامتياز، ليس لأن الراوي وظف جزءا منه في سردياته لرصد التفاصيل المكانية، وإنما لكونه عمد كذلك للتنويع في عرض الأمكنة؛ أي أنه لم ينغلق على رؤية مكانية محددة، وهذا ما نلمسه عبر التنقل الواضح لشخصياته من مكان لآخر. من حمودية ورقان إلى وهران إلى فرنسا.

-استخدام الروائي الأماكن الواقعية في الرواية، ولم يرد أي مكان خيالي، وكل الأماكن التي شهدت أحداث الرواية موجودة في الواقع، وتمثلت في رقان، وهران، إسبانيا، فرنسا.

-تعددت الأمكنة في الرواية، نظرا لتعدد الأحداث، فيظهر لنا دور المكان في تشكيل أحداث الرواية، فهو المسرح الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات..

-لعبت الشخصيات دورا هاما في الرواية، حيث كان لها علاقة وطيدة بالمكان، فكل شخصية يتبعها مكان، وكل مكان تتبعه ذكريات.

-برزت اللغة عند الروائي كوعاء يحمل فيه أحاسيسه وأفكاره، واستخدمها بطريقة سردية تخدم المكان، في أسلوب سهل وبسيط مع اعتماد اللغة الثقافية المعرفية لوصف بعض العادات والتقاليد لبعض الأماكن وهذا ما ساهم في إضفاء بعد جديد للمكان.

-يمثل إنتاج عبد الله كروم مرآة تعكس صورة الجزائر في عهد الثورة خاصة منطقة رقان فكانت رواية "غرنوة" بمثابة صورة معبرة عن حقبة حساسة مرت بها الصحراء.

إن خاتمة هذا البحث هي آخر محطة أقف عندها، حاملة معها الأسطر الأخيرة التي أردت أن تكون حوصلة شاملة مختصرة لأهم النقاط التي سمحت لي هذه الدراسة التوصل إليها.

## قائمة المصادر والمراجع

–القرآن الكريم

المصادر:

1. عبد الله كروم، غرنة متأهة في زقاق الظلمة، دار خيال للنشر، برج بوعريريج، الجزائر، سبتمبر 2023.

الكتب:

1. أمّنة يوسف، تقنية السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2015.
2. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1990.
3. حميد لحميداني، بنية النص السردى من منظور النقد العربي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1991.
4. سعيد يقطين، قال الراوي؛ البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1997.
5. سمر روجي الفيصل، الرواية العربية: البناء والرؤيا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005.
6. صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في الرواية عند الرحمان منيف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2000.
7. صالح الصالح، قضايا في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997.
8. صبيحة عودة زعرب، لغسان كنفاني: جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، 2006.
9. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، 1998.

10. عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح، دار هومة، الجزائر، 2010.
11. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2002.
12. لونيس بن علي، الفضاء السردية في رواية الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر العاصمة، 2015.
13. مرشد احمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2005.
14. مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، حكاية بحار، الواف البعيد، السورية العامة للكتاب، ط1، دمشق، 2011.
15. نجيب محفوظ، التشكيل الروائي، دراسة في تجليات الموروث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000.
16. يمني العيد، في معرفة النص، دار الأفق الجديد، ط1، بيروت، 1983.

#### الرسائل والمذكرات الجامعية:

1. حرشاي كاميلية، بنية الشخصية في قصص السعيد بوطاجين؛ دراسة تطبيقية لمقارنة فيليب هامون، ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنساني، جامعة الجزائر، 2000.

#### المجلات:

1. بوعافية أحمد، أهمية الزمان والمكان في العمل القصصي من منظور النقد الأدبي المعاصر، المركز الجامعي، تمناست. حوليات جامعة بشار، مج17، ع17، 2017.
2. أمينة رشيد، علاقة الزمان بالمكان في العمل الأدبي، زمكانية بختين، مجلة بحوث ومقالات، دار المنظومة، مج2، ع18، 2018.

3. حسن بوحسون وآخرون، جمالية المكان الفني (مقارنة نظرية)، مجلة دراسات، مج5، ع1، الجزائر، 2016.

4. وردة معلم، الفضاء الروائي، المصطلح والعلاقات، مجلة الآداب، العدد 14. جامعة 8ماي 1945، قالمة.

5. حسن لمين، قدامة بن جعفر، مفهوم الوصف عند العرب والغربيين. المجلة الثقافية الجزائرية، فهم-الوصف-عند-العرب-والغربيين. <https://thakafamag.com/>

6. مقال، موسوعة إقرأ، خواطر عن الذكريات <https://iqrae.com>

### الموقع الإلكتروني:

1. مصطفى الضبع، الحب وتجلياته في الرواية العربية، قراءة أولية في نماذج مختارة، دار العلوم، جامعة القيوم، مصر، على الموقع:  
<https://www.researchgate.net/profile/Mostafa-mstfy-aldb>

2. موقع سي ان ان العربية الشرق الوسط تحت عنوان بعد 50 عاما.. جزائريون ضحايا دخول فرنسا النادي النووي 3/5، 2010، على الموقع:

<https://www.aljazeera.net/midan/reality/politics/2022/3/28>

# فهرس

1 ..... مقدمة

## الفصل الأول:

### المكان فضاء لجريان الأحداث

6 ..... تمهيد:

8 ..... المبحث الأول: تحولات المكان

8 ..... 1. مجتمع الرواية ومنطلق الحدث

10 ..... 2. المكان باعتباره فضاء للعنف

15 ..... 3. المكان باعتباره ملاذا

19 ..... المبحث الثاني: العلاقة العاطفية بالمكان

19 ..... 1. المكان باعتباره حنينًا وذكريات

22 ..... 2. المكان وعلاقته بالمغامرة العاطفية

25 ..... 3. المكان باعتباره فضاء للعادات والتقاليد

## الفصل الثاني

### اشتغال الشخصيات في المكان

30 ..... تمهيد

32 ..... المبحث الأول: المكان باعتباره فضاء لتعارف الشخصيات

38 ..... المبحث الثاني: دور المكان في مواصفات الشخصيات

48 ..... المبحث الثالث: علاقة المكان بزمن السرد

48 ..... 1- المكان ودوره في إبطاء السرد

51 ..... 2. المكان في مذكرات الآخر

## الفهرس

---

54.....	خاتمة
56.....	قائمة المصادر والمراجع
60.....	فهرس

## ملخص

يعد المكان في الرواية رمزا للانتماء، ومسرحا للأحداث، وتربطه علاقات وثيقة بباقي العناصر المشكلة للنص الروائي ويكتسي في رواية "غرنة متاهة زقاق الظلمة" للكاتب الجزائري "عبد الله كروم" أهمية خاصة لأنه يتحدث عن المكان الذي تمت فيه التفجيرات النووية بركان، جعلتنا نفرده هذه المذكرة ليكون موضوع بحثنا، حيث قمنا برصد تجليات المكان سواء في علاقته بأحداث الرواية الأساسية وأثرها على الأرض والإنسان، أو في علاقته بطريقة اشتغال الشخصيات، واكتشفنا من خلال رصدنا لتفاصيل المكان في الرواية الدور الكبير الذي يشكله بالنسبة لبنية الرواية وانسجامها، فلا وجود لرواية دون مكان. وهذا ما تم استقصاؤه في الفصلين المشكلين للبحث، حيث تطرقنا إلى تحولات المكان في الرواية، وكيفية اشتغال الشخصيات وتأثير الأمكنة في سلوكاتها وعلاقاتها..

**الكلمات المفتاحية:** رواية - المكان - الشخصيات - جماليات المكان.

### **Abstract :**

The place in the novel is a symbol of belonging, a scene of events, and has close ties to the other constituent elements of the novel text and is embedded in a novel "The labyrinthine labyrinth of the alley of darkness" by the Algerian writer "Abdallah Kerroum" is particularly important because it speaks of the place where the nuclear explosions took place in Reggan. We made this memorandum unique to him as the subject of our research, where we monitored the manifestations of the place both in relation to the tragic events of the novel and its impact on the Earth and man. or in relation to the functioning of the characters, and through our monitoring of the details of the place in the novel, we discovered the great role it poses for the structure and compatibility of the novel There is no narrative without place and this is what was investigated in the two chapters that formed the research. We touched on the transformations of the place in the novel, how the characters worked and how the places influenced their behavior and their relations.

**Keywords:** Novel - Place – Characters- Place aesthetics